جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا
المجـــلة العلميـــة

لطائف الصوفية
في التحفة البيجورية

إعداد

د/ آمال عبد القادر سيد أحمد

الأستاذ المساعد
بقسم العقيدة والفلسفة
في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

(العدد الحادي والعشرون إصدار ديسمبر ٢٠٢٤م)

لطائف الصوفية في التحفة البيجورية

آمال عبدالقادر سيد أحمد

قسم العقيدة والفلسفة، كلية البنات الإسلامية بأسيوط، جامعة الأزهر، أسيوط، مصر.

البريد الإلكتروني: amalahmed.7822@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

تتكامل العلوم العقدية في بناء صرح الحقيقة، ومن ثَمَّ فإن بعضًا منها يتحد في الوجهة الفكرية إلى غاية واحدة، وإن اختلف في المنهج، وعلى سبيل المثال يتناغم علم الكلام ولا ريب مع علم التصوف، ومن ثَمَّ نجد أنماطًا خاصة للعلماء البنائين فيصنف العالم من ذلك المنظور التكاملي بين العلوم، فيعالج القضايا الكلامية من حيث لا يتغافل عن الرؤى الصوفية التي أسهمت في حل هذه الإشكالات، ولا ضير في ذلك طالما كان العالم متمكنًا من تلك العناصر العلمية، وبعيدًا عن التجاوزات المفرطة في الاعتداد بالعقل أو التسليم لدلالات الكشف، وكان خير من تلألأ في هذه الوجهة العلمية: الإمام البيجوري – رحمه الله تعالى – في شرحه على جوهرة التوحيد، حيث انبعث وميض اللطائف الصوفية من خلفياته الكلامية، ومن ثَمَّ كان بحثي هذا ليحلل مجموعة من القضايا الكلامية من خلال المنظور الصوفي لها، مقتصرًا في ذلك على تلك اللطائف الصوفية التي جاءت على لسان الإمام البيجوري ونسبها إلى الصوفية عامة، أو إلى عالم صوفي على وجه الخصوص في مصنفه: (تحفة المريد على جوهرة التوحيد) وقد عضد بها الأمام أدلته أحيانًا وقوَّم تلك اللطائف أحيانًا أخرى، فجاءت تعليقاته كعقد فريد جمعت إلى غذاء العقل نسيم الروح، وإلى طريق النظر طريق التصفية، وكونت نظرة تكاملية مثالية، حتى كأننا أمام علم كلام عرفاني أو تصوف استدلالي.

وقد كان من أسباب اختيار هذا الموضوع هو رسم صورة واضحة القسمات للآراء الصوفية التي نبَّه عليها الإمام البيجوري في شرح الجوهرة.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، أما المقدمة فتتضمن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره ومنهج البحث وخطته، وأما التمهيد فيتناول العلاقة بين علم الكلام وعلم التصوف، وأما الخاتمة فتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: الإمام البيجوري، علم الكلام، التصوف، تحفة المريد، جوهرة التوحيد.

Lata'if Al-Sufiyah Fi Al-Tuhfah Al-Bijuriyah

Amal Abdul Qadir Sayyid Ahmad
Department of Creed and Philosophy, Faculty of Islamic Girls, Al-Azhar University, Assiut, Egypt
Email: amalahmed.7822@azhar.edu.eg

Abstract:

The sciences of creed complement each other in constructing the edifice of truth. Consequently, some of them converge towards a single goal, even if they differ in methodology. For instance, there is a harmonious relationship between the science of theology (kalam) and Sufism. Thus, we find specific patterns among scholars who adopt a holistic perspective, addressing theological issues while considering the Sufi insights that contribute to resolving these problems. There is no harm in this, provided the scholar is adept in these scientific elements and avoids excessive reliance on intellect or yielding to the implications of mystical experiences.

The prominent figure who illuminated this scientific direction was Imam Al-Bijuri (may Allah have mercy on him) in his commentary on the (Jawharat al-Tawhid). Here, the glimmers of Sufi insights emerged from his theological background. This study aims to analyze a collection of theological issues from a Sufi perspective, focusing on the Sufi insights articulated by Imam Al-Bijuri and attributed to Sufis in general or to specific Sufi figures within his work: "Al-Tuhfah Al-Murid 'ala Jawharat Al-Tawhid." Imam Al-Bijuri sometimes supported his arguments with these insights and, at other times, critiqued them. His comments thus formed a unique blend, combining nourishment for the intellect with the spirit's breeze and a path to purification, creating an ideal integrative perspective. It is as if we stand before a mystical theology or an evidential Sufism.

The choice of this topic was motivated by the desire to provide a clear portrayal of the Sufi views highlighted by Imam Al-Bijuri in his commentary on the "Jewel."

The structure of the research includes an introduction, a prelude, four main sections, and a conclusion. The introduction discusses the importance of the topic, reasons for its selection, and the research methodology. The prelude addresses the relationship between the science of theology and Sufism. The conclusion summarizes the main findings derived from this research.

Keywords: Al-Imam al-Bijuri, iIlm al-Kalaam, al-Tasawwuf, Tuḥ fat al-Mureed, Jawharat al-Tawheed.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي تقدس بذاته وصفاته العلية ، فعجزت عن إدراك جلاله البشرية ، سبحانه يهب لمن يشاء المنازل الروحية فيسمو من العلم بالأبصار إلى العلم بالبصائر اللدنية ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وقدوة المقربين ، ومفتاح السعادة للمريدين وعلى آله وأصحابه وأزواجه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ٠

أما بعد ...

فعندما يجتمع التقليد والأدلة والعيان والحق بحثاً عن الحقيقة، نجد أنماطاً خاصة للعلماء البنائين فيصنفون من ذلك المنظور التكاملي بين العلوم، وتلك سمة تعبر عن جهد عقلي فيه التنوع والفاعلية والحراك المعرفي الدقيق ، القابل للاستجابة من كافة زوايا النظر ، وقد كان ممن تلألأ بين العلماء في ذلك الإمام البيجوري ــ رحمه الله تعالى ــ ، حيث انبعث وميض اللطائف الصوفية من خلفياته الكلامية ، فيعضد بها أدلته أحياناً ويقوم تلك اللطائف أحياناً أخرى ، فجاءت تعليقاته على جوهرة التوحيد كعقد فريد ينتظم فيه غذاء العقل مع نسيم الروح بطريقة تجذب النظر وتحفز على البحث العلمي ، ومن ثم كان بحثي هذا بعنوان: " **لطائف الصوفية في التحفة البيجورية** " ٠

سائلة المولى ــ عز وجل ــ أن يهبني التوفيق والسداد، إنه نعم المولى ونعم النصير ٠

أسباب اختيار هذا الموضوع :

إن الباعث الحثيث على اختيار هذا الموضوع يتبلور في الأسباب التالية :

١ ــ رسم صورة واضحة القسمات للآراء الصوفية التي نبه عليها الإمام البيجوري في شرح الجوهرة ٠

٢ ــ بيان مدى التكامل بين منهج التحقيق البرهاني ومنهج الذوق الوجداني في القضايا الوجودية والماورائية الغيبية ٠

٣ ــ تعزيز الاستقراء في أروقة العلوم المختلفة ، ورصد اسهاماتها في حل الاشكلات الكلامية ٠

منهج البحث :

تطلب هذا البحث استخدام المناهج التالية :

١ ــ منهج الاستقراء الناقص ، حيث تقصى البحث تلك النصوص التي نسبها الإمام البيجوري إلى الصوفية عامة، أو إلى عالم صوفي على وجه الخصوص دون غيرها من النصوص ٠

٢ ــ المنهج التحليلي ، وذلك لتحليل الرؤية الصوفية الكاملة لتلك الإشارات النصية التي سجلها الإمام ٠

خطة البحث :

يشتمل هذا البحث على : مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة مباحث، وخاتمة ، وذلك على النحو التالي :

المقدمة : وتتضمن أهمية هذا الموضوع ، وأسباب اختياره ومنهج البحث وخطته٠

التمهيد : ويتناول العلاقة بين علم الكلام وعلم التصوف ٠

المبحث الأول : اللطائف الصوفية في الأمور المقدمة في علم التوحيد ٠

المبحث الثاني : اللطائف الصوفية في الإلهيات ٠

المبحث الثالث : اللطائف الصوفية في النبوات ٠

المبحث الرابع : اللطائف الصوفية في السمعيات وفن التصوف٠

الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ٠

وختاماً أسأل الله عز وجل أن يمن على هذا البحث بالتمام على الوجه الذي يحب ويرضى ٠

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ "

أ٠م/ آمال عبد القادر سيد أحمد

التمهيد

العلاقة بين علم الكلام وعلم التصوف

انطلاقاً من القاعدة المنطقية التي تقضي بأن المندرجان تحت جنس بينهما قاسم مشترك بالضرورة ، فإن علم الكلام يتناغم ولا ريب مع علم التصوف ، من حيث إنهما يندرجان تحت الفكر الإسلامي ، ويمكن القول أن القاسم المشترك الأكبر بينهما هو البحث عن المعرفة الصحيحة بالله ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً على قدر الطاقة البشرية لنيل السعادة الدنيوية والأخروية ، وبالرغم من أن هذا القاسم المشترك يكفي لتوثيق العلاقة بين العلمين فإنه يمكن دعم ذلك من خلال الحيثيات التالية :

١ ـ التعريف بالعلمين :

فقد عرف علم الكلام بأنه : علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية التوحيد [١] .

أما التصوف فقد عرف بأنه هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك وتصفية البواطن عن الرذائل وتحليتها بالفضائل ، وغيبة الخلق في شهود الحق[٢] .

ويذكر ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) ، الغاية منه فيقول: فالمريد لابد له من الترقي من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة [٣] .

إذن قد وضح من التعريفات السابقة أن العلمين يلتقيان من حيث الموضوع وهو تصحيح المعرفة الإنسانية للوصول إلى التوحيد اللائق بحضرة ملك الملوك ، وكذلك يتحدان في الغاية والثمرة المرجوة من كل منهما وهي الفوز بالنجاة والوصول إلى السعادة الدنيوية والأخروية .

---

(١) مقدمة ابن خلدون تأليف العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق د/ علي عبدالواحد وافي،ج٣/٩٦٦ ، طبعة ٢٠٠٦م، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

(٢) معراج التشوق إلى حقائق التصوف ، للشيخ عبد الله بن أحمد بن عجيبة ، تحقيق عبد المجيد خيالي، ص ٢٥ : ٢٦ ، مركز التراث الثقافي المغربي ، الدار البيضاء.

(٣) مقدمة ابن خلدون ج٣/٩٩٠ .

٢ ـ نص العلماء على التلاقي بين العلمين :

ويتضح ذلك جلياً عند الإمام الغزالي فبعد إظهار ميله إلى التصوف يرتب سبيل العلم القطعي فيقول : التحقق بالبرهان علم وملابسة عين تلك الحالة ذوق، والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن إيمان[١] .

ويتضح ذلك ببساطة في مفتاح السعادة حيث يعقد مصنفه فصلاً بعنوان : النسبة بين طريق النظر وطريق التصفية وقال فيه: هاتان الطريقان الأولى منهما طريقة الاستدلال والثانية طريقة المشاهدة ، والأولى درجة العلماء الراسخين والثانية درجة الصديقين ، وقد تفضي كل طريقة إلى الأخرى فيكون صاحبه مجمعاً للبحرين ، أي يجري الاستدلال والمشاهدة، أو العلم والعرفان[٢] .

أما الإمام الدردير فجعل القسم الرابع في شرح الخريدة البهية في التوحيد خاصاً بالتصوف، وفي أوله هذا شروع في فن التصوف الذي هو حياة القلوب ، رتبه على معرفة العقائد الإيمانية لأنه لا يمكن السير إلى الله تعالى إلا بعد معرفتها[٣] .

٣ ـ **كثرة العلماء الذين صنفوا في العلمين معاً** بل وعالجوا القضايا الوجودية والإلهية بالطريقين ومنهم على سبيل المثال لا الحصر : الإمام القشيري (ت٤٦٥هـ)،الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، ابن عربي (ت٦٣٨هـ)، طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ) ، عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ) إبراهيم اللقاني (ت١٠٤١هـ) ، الإمام الدردير (ت١٢٠١هـ)، ابن عجيبة (ت١٢٢٤هـ) ... وغيرهم ، وكأن علومهم أصبحت علم كلام عرفاني أو تصوف استدلالي ، ولا ضير في ذلك، طالماً كان العالم متمكناً من العلمين، وبعيداً عن التجاوزات المفرطة في الاعتداد بالعقل أو التسليم لدلالات الكشف .

---

(١) المنقذ من الضلال لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق جميل صليبا ، كامل عياد، ص ١٠٣ ، الطبعة الخامسة ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م .

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في العلوم ، تأليف أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ، ج٦٧/١ ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٣) شرح الخريدة البهية في علم التوحيد ، تأليف أحمد بن محمد العدوي الشهير بالدردير ، تحقيق عبد السلام عبد الهادي شنار، ص ١٧٣ ، دار البيروني .

ومما سبق يمكن القول أن تلك النظرة التكاملية المثالية للإمام البيجوري (ت ١٢٧٧هـ) في تحفة المريد على جوهرة التوحيد لم تأت من فراغ وإنما تكونت من محصلة أصل ثابت وفرع في السماء.

فهي شرح لجوهرة التوحيد للقاني في علم الكلام[١] .

والإمام البيجوري هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري شيخ الجامع الأزهر، تقلد مشيخة الأزهر سنة ١٢٦٣هـ واستمر بها إلى أن توفى بالقاهرة[٢].

أما جوهرة التوحيد فهي منظومة في الكلام للشيخ إبراهيم اللقاني المالكي أولها : الحمد لله على صلاته[٣] .

والإمام اللقاني هو إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني أبو الأمداد برهان الدين فاضل متصوف مصري مالكي، نسبته إلى لقانه من البحيرة بمصر[٤] .

هذا ... وقد ألحق الإمام اللقاني بتلك المنظومة شيئاً من فن التصوف ليس باليسير ، وقد أشار الإمام البيجوري إلى ذلك في شرحه حيث قال : وقد ذكر المصنف شيئاً من فن التصوف ومنه مباحث النميمة وما بعدها من المهلكات فهي تصوف[٥] .

هذا بالإضافة إلى مجموعة من الإشارات قليلة الألفاظ دقيقة المعنى تعبر عن رؤى صوفية ذكرها عالمنا في ثنايا شرحه للقضايا المختلفة . وجميع ذلك هو موضوع بحثنا الذي يتم عرضه بإذن الله تعالى من خلال المباحث التالية :

---

(١) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، تأليف إسماعيل ابن محمد أمين مير سليم البغدادي (ت ١٣٩٩هـ) ، ج١/٤١ ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة ، استانبول ١٩٥١م .

(٢) الأعلام ، تأليف خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ) ، ج١/٧١ ، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م ، دار العلم للملايين .

(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تأليف مصطفى عبد الله القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ) ، ج١/٦٢٠، طبعة ١٩٤١م ، مكتبة المثنى ، بغداد .

(٤) الأعلام ج١/٢٨ .

(٥) شرح البيجوري على جوهرة التوحيد ، المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد ، تأليف الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام إبراهيم البيجوري ، ص٢٥٧ ، طبعة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة .

المبحث الأول

اللطائف الصوفية

في الأمور المقدمة في علم التوحيد

المعارف الاستعدادية لأي علم من العلوم هي نقطة الانطلاق فيه ، وإذا نظرنا إلى علم التوحيد خاصة نجد أن هناك معارف تستلزم ضرورة العلم بها قبل الخوض في المباحث الأساسية لهذا العلم ، ومن هذه الحيثية سجل الإمام مجموعة من هذه الأمور ، ويرصد هذا المبحث اللطائف الصوفية فيها وذلك على النحو التالي :

اللطيفة الأولى

العمل ودرجات الإخلاص

قال الإمام البيجوري في شرح قول الناظم (بها مريداً في الثواب طامعاً) : (في كلامه إشارة إلى أن العمل لله مع إرادة الثواب جائز وإن كان غيره أكمل ، فإن درجات الإخلاص ثلاث : عليا ووسطى ودنيا ، فالعليا أن يعمل العبد لله وحده امتثالاً لأمره وقياماً بحق عبوديته ، والوسطى أن يعمل طالباً للثواب ، وهرباً من العقاب ، والدنيا أن يعمل لإكرام الله له في الدنيا والسلامة من آفاتها ، وما عدا هذه الثلاثة فهو رياء وإن تفاوتت أفراده ذكره شيخ الإسلام في شرح الرسالة القشيرية) [(١)] .

الباعث على العمل هو الحاكم الحقيقي عليه؛ فإليه ترجع النية، ولذا فإن الصوفية يرتقون في النظرة إلى درجات الأعمال، فحتى وإن كانت النية الظاهرة في العمل التقرب إلى الله تعالى ينظرون هل شاب هذا الباعث آخر أو لا ، وهنا وفي الإخلاص خاصة، كان الترقي حتى عن طلب الثواب الأخروي ولذا قال رويم (ت٣٠٣هـ) : الإخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضاً في الدارين ، وهذا إشارة إلى أن حظوظ النفس آفة آجلاً وعاجلاً [(٢)] .

ومن هنا فإن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ) يرى أن الإخلاص

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص٣٠ .

(٢) إحياء علوم الدين ، تصنيف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ) وبهامشه تخريج الإمام حافظ العراقي ، تحقيق الشحات الطحان ، عبد الله المنشاوي ج٥/٢٩ : ٣٠ ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م ، مكتبة الإيمان ، المنصورة.

الكامل إفراد الحق تعالى في الطاعة بالقصد: أي الإرادة ، وهي أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شئ آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح الخلق ، أو معنى من سائر المعاني ، فليس ذلك من الإخلاص الكامل ، بل ولا من مطلق الإخلاص، إلا فيما يريد به ثواب الآخرة ، أو الإكرام في الدنيا والسلامة من آفاتها ، فلا يخرج عن حد الإخلاص ، فدرجات الإخلاص ثلاث (عليا ووسطى ودنيا) [١] فالإخلاص الكامل إذن والدرجة العليا أن يعمل العبد امتثالاً لأمره وقياماً بحق عبوديته ،وهنا تعلو رابعة العدوية (ت ١٨٥ هـ) فتقول :

عبدوك خوفاً من لظى عبدوا لظى لا ربنا

[٢]

ونقول : رفقاً أم الخير بإيمان العوام ، فقد ذكر شيخ الإسلام أنه لا يخرج عن حد الإخلاص وإن لم يكن في الدرجة العليا منه، وقياساً على ما مر تختلف مسميات الإخلاص عند الصوفية ، فإخلاص العامة : تصفية الأعمال من ملاحظة المخلوقين، وإخلاص الخاصة : تصفيتها عن طلب العوض في الدارين، وإخلاص خاصة الخاصة : التبري من الحول والقوة، ومن رؤية الغير في القصد والحركة حتى يكون العمل بالله، ومن الله ، وإلى الله ، غائباً عما سواه[٣] .

ونختم هذه التحليلات بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [٤].

---

(١) شرح العلامة مصطفى العروسي ، المسمى نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية ، لشيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري ت ٩٢٦هـ ، ضبطه وخرج أحاديثه الشيخ عبد الوارث محمد علي ، المجلد الثاني ص٢٣٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .

(٣) معراج التشوق إلى حقائق التصوف ص ٣٤ .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ١٦٢ .

اللطيف الثانية

حول نجاة أبوي النبي ﷺ

قال الإمام البيجوري : والحق الذي نلقي الله عليه أن أبويه ﷺ ناجيان ، على أنه قيل : أنه تعالى أحياهما حتى آمنا به ثم أماتهما ، لحديث ورد في ذلك وهو ما روى عن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يحيي له أبويه فأحياهما فآمنا به ثم أماتهما٠٠٠ ولعل هذا الحديث صح عند أهل الحقيقة بطريق الكشف كما أشار إليه بعضهم بقوله :

أيقنت أن أبا النبي وأمه	أحياهما الرب الكريم الباري
حتى له شهدا بصدق رسالة	صدق فتلك كرامة المختاري
هذا الحديث ومن يقول بضعفه	فهو الضعيف عن الحقيقة عاري[1]

تعبر هذه اللطيفة عن قمة أدب التعامل مع النبي ﷺ ، فإن مسألة نجاة أبويه ﷺ ليست محلاً للنقاش، وإنما ذكرها علماؤنا الكرام تحسباً لشبه وردت أو ترد في ذلك ، فإن الإذعان فيها أسلم والتحقيق أدق وأحكم ، واستكمالاً لهذا التحقيق عند الصوفية خاصة نتلمس في تلك اللطيفة إشارتين على النحو التالي :

الأولى : تحرير نسبة القول بصحة الحديث المذكور والأبيات الشعرية للصوفية :

فبالرغم من عدم وصول درجة حديث إحياء أبوي الرسول ﷺ إلى الصحيح كما جاء عن البعض[2] إلا أنه صح عند علماء الحقيقة وأرباب الكشف، فلهذا كانا من أهل

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٣٢ : ٣٣ ٠

(٢) جاء الحديث بلفظه : في الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي ت٥٨١هـ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل= =ج١٨٧/٢ مكتبة ابن تيمية ، القاهرة، طبعة ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م ، وقال حديث غريب لعله يصح ٠٠٠ في إسناده مجهولون ٠

وجاء بلفظ : إن الله أحيا لي أمي آمنة ، فآمنت بي ثم عادت إلى قبرها ٠ ورد الحديث في باب الياء ص ٣٤٤ من السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد، تأليف أبي بكر بن أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، ت ٤٦٣هـ ، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م ، دار الصميعي ، الرياض ٠

الجنة قطعاً ولذا قال بعضهم : أيقنت أن أبا النبي وأمه ... الخ[١] ويذكر ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ) ــ ولا يخفي عمق تجربته الصوفية ــ[٢] : أن الحديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعنوا فيه[٣] .

ويذكر رفاعة الطهطاوي (ت ١٢٩٠هـ) أن الأبيات الشعرية السابقة جاءت رداً على من قال بضعف الحديث حيث قال: قال الحافظ الدمشقي (ت٨٤٢هـ) بعد أن خرج الحديث في إحياء أمه ﷺ عن طريق الخطيب فصرح بضعف الحديث ولم يلتفت لزعم وضعه :

حبا الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رءوفا
فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلاً منيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

وقد رد بعضهم على هذه الأبيات بقوله : أيقنت أن أبا النبي وأمه...الخ[٤] .

الثانية : رأي الصوفية تفصيلاً في نجاة أبوي النبي ﷺ :

يذكر الشعراني حديثاً مطولاً في هذا الصدد يقرر فيه نجاة أبوي النبي ﷺ مستندا إلى على عدة ركائز منها :

١ ــ أن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ذكر أنه قد ورد حديث في إحياء أبوي النبي ﷺ حتى آمنا به ، وعلى ذلك جماعة من الحفاظ .

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، تأليف عبد الرازق بن حسن بن إبراهيم البيطار ت ١٣٣٥هـ ، تحقيق محمد البيطار ص٤٧٩، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م ، دار صادر بيروت.

(٢) ينظر : موقف ابن حجر الهيتمي من التصوف الإسلامي دراسة تحليلية مقارنة ، ضمن بحوث حولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا ، إعداد رائد عبد الجواد ربيع ، المجلد ٣٨ العدد ٣٨، ديسمبر ٢٠٢٣م .

(٣) المنح المكية في شرح الهمزية للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي ، تحقيق أحمد جاسم الحمد ، بوجمعة مكري ص١٠١، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م دار المنهاج، بيروت، لبنان .

(٤) نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز ، تأليف رفاعة رافع الطهطاوي، ج٣٧/١ ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ، دار الذخائر، القاهرة .

٢ ــ ورد حديث الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال سئل الرسول ﷺ عن أبويه فقال: ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما وإني لقائم يومئذ المقام المحمود[١] قال السهيلي (٥٨١هـ) ففي هذا الحديث تلويح بأنه ﷺ يشفع فيهما في ذلك المقام.

٣ ــ أن حكم من لم تبلغه الدعوة أن يموت ناجياً ولا يعذب ويدخل الجنة ، وقد قال السيوطي : وهذا مذهبنا ولا خلاف فيه بين المحققين من أئمتنا الشافعية في الفقه والأشاعرة في الأصول[٢] .

أما ابن عربي فقد قسم أهل الفترة بين عيسى عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ إلى ثلاثة عشر قسماً، وحكم لستة أقسام منهم بالسعادة ومنهم ذلك القسم الذي يندرج تحته أبوي النبي ﷺ حيث قال : ومنهم من وحد الله بنور وجده في قلبه ، ولا يقدر على دفعه من غير فكرة ولا روية ولا نظر، ولا استدلال ، فهم على نور من ربهم خالص غير ممتزج بكون ، فهؤلاء يحشرون أحفياء أبرياء[٣].

ويؤكد الشعراني ذلك فيقول : اعلم أن الموحد سعيد بأي وجه كان توحيده ، وإن لم يكن مؤمناً بكتاب ولا رسول... ويدخل الجنة ومنهم من وحد بنور وجده في قلبه ومات على ذلك ومنهم أبوا الرسول ﷺ[٤] .

---

(١) حديث رقم ٣٣٨٥ ج٣٩٦/٢ من المستدرك على الصحيحين، المؤلف أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن الحكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، طبعة ١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.

(٢) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ، تأليف الشيخ عبدالوهاب بن أحمد بن علي الشعراني المصري الحنفي ج٤٠٧/٢ : ٤٠٨ ، دار إحياء للتراث العربي ، بيروت، لبنان .

(٣) الفتوحات المكية ، تأليف أبي بكر محيي الدين محمد بن علي بن عبد الله الحاتمي المعروف بابن عربي ت ٦٣٨هـ ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه أحمد شمس الدين ، ج٢١١/١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٤) اليواقيت والجواهر ج٤٠٩/٢ .

اللطيفة الثالثة

ليس في الإمكان أبدع مما كان

قال الإمام البيجوري (قد وقع في كلام الغزالي ليس في الإمكان أبدع مما كان ، فشنع عليه جماعة بأن فيه نسبة العجز إلى الله تعالى ، وأجيب عنه بأجوبة أحسنها أن المعنى ليس في الإمكان أبدع مما كان لعدم تعلق علم الله وإرادته بغير ما كان الذي هو هذا العالم فهو مستحيل لعدم تعلق علم الله وإرادته به ، فصدق عليه أن ليس في الإمكان بهذا الاعتبار وإن كان ممكناً في نفسه) [1] .

ليس في الإمكان أبدع مما كان عبارة ذكرها الغزالي ليدلل بها على جمال وإحكام ما كان ليرتقي من كمال الصنعة إلى كمال الصانع ، إلا أنها لاقت كثيراً من الأخذ والرد ، واهتم بها الصوفية اهتماماً خاصاً، ويمكن تحليل ذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً : أصل هذه المسألة في كتب الغزالي :

وردت هذه المقولة بلفظها أو بما يؤدي معناها في أكثر من مصنف للإمام الغزالي ، ومنها على سبيل المثال :

جاء في الإحياء : وكل ما قسم الله بين عباده من رزق وأجل ... فكله عدل محض لا جور فيه ، وحق صرف لا ظلم فيه ، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي ، وليس في الإمكان أصلاً أحسن منه ، ولا أتم، ولا أكمل ولو كان أدخره مع القدرة ، ولم يتفضل بفعله لكان بخلاً يناقض الجود، وظلماً يناقض العدل ، ولو لم يكن قادراً لكان عجزاً يناقض القدرة الإلهية[2] .

وفي كتاب الأربعين في أصول الدين بعد إشارة إلى الأسباب والمسببات : وإنها رتبت على أكمل الوجوه وأحسنها، وليس في الإمكان أحسن منها وأكمل[3].

وفي كتاب الإملاء :ليس في الإمكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا صنعاً[4] .

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٤٣ : ٤٤ .

(٢) إحياء علوم الدين ج٣٥٩/٤ : ٣٦٠ .

(٣) كتاب الأربعين في أصول الدين ، للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ص ١٦١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان .

(٤) كتاب الإملاء في إشكالات الإحياء ، بذيل إحياء علوم الدين ج٣١٤/٥ .

ثانياً : التشنيع على مقولة الإمام الغزالي :

شنع البعض على مقولة الإمام الغزالي (ليس في الإمكان أبدع مما كان) بل وغالى بعض الأئمة الفقهاء الزيديين من المعتزلة فنسب إليه الكفر ، وزعم أنه حصر القدرة في قوله ليس في الإمكان أبدع من هذا الوجود[١] وكذلك الإمام البقاعي (ت٨٨٥هـ) فقد استنكر ذلك ، وادعى أنه مدسوس في كلام حجة الإسلام أو زلة صدرت من عالم، وأن هذا الكلام يلزم عنه استعجاز القدرة الإلهية واستقصارها٠٠٠ وألف كتاباً في ذلك سماه تهديم الأركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان[٢] ٠

وفي كشف الظنون أن تهديم الأركان في ليس في الإمكان أبدع مما كان لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي ٠٠٠ رد فيه على بعض الفلاسفة القائلين بالوحدة المطلقة ، واعترض على الغزالي في إحيائه[٣] ٠

ثالثاً : الرد على الاعتراضات الموجهة لهذه المقولة :

إن أولى الناس بالرد على الاعتراضات الموجهة لهذه المقولة وتفسيرها هو قائلها ، وقد قال الغزالي إثر هذه المقولة : بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الآخرة ٠٠٠ إذ لولا الليل ما عرف قدر النهار ، ولولا المرض لما نعم الأصحاء بالصحة٠٠٠ فإن الكمال والنقص يظهر بالإضافة ، فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعاً[٤] ٠

ثم ينتقل من الوضوح إلى دقة الاستدلال على هذه المقولة بما يثبت صحتها وينقض ما يوجه إليها من اعتراضات فيما يلي :

١ ــ كيف يقضي عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختياراً وكان ذلك، ولم ينسب إليه ذلك

---

(١) مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة ، تأليف أبي محمد عفيف الدين عبد الله ابن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت٧٦٨هـ) تحقيق محمود محمد محمود حسن نصار ، ص٥١، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م ، دار الجيل ، بيروت، لبنان٠

(٢) تشييد الأركان في ليس في الإمكان أبدع مما كان ، للشيخ جلال الدين السيوطي، أشرف على التحقيق والتصحيح هيئة التحقيق بدار الوعي العربي، ص ٣٥ ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م، دار الكتاب الإسلامي ، حلب ٠

(٣) كشف الظنون ج١/٢٠ ٠

(٤) إحياء علوم الدين ج٤/٣٥٩ : ٣٦٠ ٠

قبل خلق العالم ، ويقال إدخار إخراج العالم من العدم إلى الوجود عجز مثل ما قيل فيما ذكرناه .

٢ ــ لو كان ما خلق ناقصاً بالإضافة إلى غيره ما قدر على خلقه ، ولو لم يخلق لكان يظهر النقصان المدعي على هذا الوجود متى خلقه، كما يظهر ما خلقه على غير ذلك، ويكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان قطعاً .

٣ ــ إذا خلق للخلق عقولاً وجعل لهم فهوماً وعرفهم ما أكن وكشف لهم ما حجب وأجن؛ فيكون من حيث عرفهم بكماله دلهم على نقصه[١] .

٤ ــ أما ما اعترضوا عليه من أن مقولته تستلزم الوحدة المطلقة فقد استنكر الإمام ذلك واعترض عليه[٢] .

رابعاً : موقف الصوفية من هذه المقولة :

تناول الصوفية بعد الإمام الغزالي هذه المقولة بالقبول والدفاع عنه ومن أمثلة ذلك :

يقول السهروردي المقتول (٥٨٦هـ) : بل امتنع الوجود إلا على ما هو عليه الكل حسن ولطيف ... وقد يكون في مفسدة جزئية مصالح كلية[٣].

وجاء عن ابن عربي : من كفر الغزالي بهذه المسألة فهو غير مصيب ، والجواب عن ذلك سهل ، وهو أنه ما ثم في الوجود إلا مرتبتان قدم وحدوث ، فالحق تعالى في مرتبة القدم ، والخلق كلهم في مرتبة الحدوث، فلو خلق الله تعالى ما خلق فلا يخرج عن مرتبة الحدوث ، فمراد الغزالي رحمه

---

(١) ينظر : كتاب الإملاء بذيل الإحياء ج٥/٣١٥ .

(٢) مشكاة الأنوار ، تأليف أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ) تحقيق أبو العلا عفيفي ، ص ٥٧ : ٥٨ ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

(٣) كتاب المشارع والمطارحات ، لشهاب الدين بن يحيى بن حبش السهروردي ، ضمن موسوعة مصنفات السهروردي ، حققه واعتنى به محسن عقيل ، ص ٣٩١ ، دار روافد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان .

الله بنفي الإبداعية : التحاق الحادث برتبة القديم ، وهذا غير ممكن[١] ٠

وتذكر للجيلي (ت ٨٠٥هـ) إجابة في ذلك بأن : قول الإمام الغزالي ليس في الإمكان أبدع مما كان قول صحيح، لأن كل ما كان قد تعلق به العلم القديم بلا شك ، وما تعلق به العلم القديم لا يقبل الزيادة أبداً إذ لو قبل الزيادة لقبلها العلم القديم،ولا قائل بـه فصح أنه ليس في علم الحق أبدع من هذا العالم[٢]٠

ويمكن القول أن إجابة الجيلي هذه هي التي أشار إليها الإمام البيجوري بأنهـا أحسن الأجوبة أو على الأقل أنها تؤدي معنى هذه الإجابة الحسنة ٠

(١) الجواهر والدرر الكبرى/ تصنيف العارف بالله عبد الوهاب الشعراني الأنصـاري ، تحقيـق وتخريج الشيخ أحمد فريد المزيدي ص ١٨٢ الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م ٠

(٢) الجواهر والدرر الكبرى ص ١٨٣ ٠

اللطيفة الرابعة

أقسام الإيمان

قال الإمام البيجوري : اعلم أن الإيمان على خمسة أقسام: إيمان عن تقليد ، وهو الإيمان الناشئ عن الآخذ بقول الشيخ من غير دليل ، وإيمان عن علم وهو الإيمان الناشئ عن معرفة العقائد بأدلتها ، وإيمان عن عيان وهو الإيمان الناشئ عن مراقبة القلب لله بحيث لا يغيب عنه طرفة عين، وإيمان عن حق وهو الإيمان الناشئ عن كونه لا يشهد إلا الله، فالتقليد للعوام، والعلم لأصحاب الأدلة ، والعيان لأهل المراقبة، ويسمى مقام المراقبة ، والحق للعارفين ويسمى مقام المشاهدة ، والحقيقة للواقفين ويسمى مقام الفناء، لأنهم يفنون عن غير الله ،ولا يشهدون إلا إياه ، وأما حقيقة الحقيقة فهي للمرسلين وقد منعنا الله عن كشفها فلا سبيل إلى بيانها[1] .

إن أول ما يقع عليه النظر في هذه اللطيفة هو تصدير الإمام لها بكلمة أعلم مما يحمل قناعة الإمام التامة بهذا التقسيم، وإذا بحثنا عن هذا التقسيم نجده في اليواقيت بلفظه وقد نسب لابن عربي[2] ونجد أيضاً الإمام الصاوي (ت ١٢٤١هـ) قد ذكر هذا التقسيم في شرحه للجوهرة ونسبه مباشرة لابن عربي[3].

ونجد هذه الأقسام الخمسة عند ابن عربي وهي كما ذكرها: إيمان تقليد وإيمان علم، وإيمان عيان ، وإيمان حق، وإيمان حقيقة ، فالتقليد للعوام ، والعلم لأصحاب الدليل، والعيان لأهل المشاهدة ، والحق للعارفين ، والحقيقة للواقفين، وحقيقة الحقيقة وهو السادس للمرسلين ووراثة منع كشفها، فلا سبيل إلى إيضاحها ، فالقلب للعوام ، وسر القلب لأصحاب الدليل، والروح لأهل المشاهدة ، وسر الروح للعارفين ، وسر السر للواقفين والسر الأعظم لأهل الغيرة والحجاب[4] .

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٤٦ .

(٢) اليواقيت والجواهر ج٢/٥٠٠ .

(٣) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ، للإمام الفقيه أحمد بن محمد المالكي الصاوي ، تحقيق وتعليق عبد الرحمن البزم ، ص١١١: ١١٢، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م ، دار ابن كثير ، بيروت، لبنان .

(٤) الفتوحات المكية ج١/١٨١ .

مما سبق يمكن القول أن هذه الأقسام الخمسة هي أقسام للتصديق أو درجات التصديق وبذلك لا يتعارض هذا التقسيم مع ما قرره الإمام البيجوري عن جمهور الأشاعرة والماتريدية حيث فسروا الإيمان بالتصديق[١] وكذلك لا يتعارض قول ابن عربي مع ما أجمع عليه الصوفية، فالإيمان عند الجمهور منهم قول وعمل ونية ومعنى النية التصديق ٠٠٠ وأجمعوا على أن وجوب الإيمان ظاهراً كوجوبه باطناً وهو الإقرار غير أنه قسط جزء من أجزاء الظاهر دون جميعه ٠٠ وقسط جميعه هو العمل بالفرائض لأنه يعم جميع الظاهر ، كما عم التصديق جميع الباطن[٢] ٠

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٤٦ ٠

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ، تأليف أبي بكر محمد بن إسحاق بن إبراهيم الكلاباذي البخاري الحنفي (ت ٣٨٠هـ) ، ص٢١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٠

اللطيفة الخامسة

حول زيادة إيمان الأنبياء

قال الإمام البيجوري : ومما يشير إلى أن إيمان الأنبياء يزيد قول سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام : " ولكن ليطمئن قلبي " وفي مفاتيح الخزائن لسيدي علي وفا : معنى قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ﴾ [1]. أو لم يكفك إيمانك قال بلى ولكن ليطمئن قلبي من قلقه لرؤية الكيفية[2] .

إن الشاهد الذي جاء به الإمام البيجوري ليدلل على أن إيمان الأنبياء يزيد هو للشيخ على وفا الشاذلي المتصوف الإسكندري (ت٨٠٧هـ) [3] . ويمكن تحليل هذه اللطيفة من خلال كتبه الصوفية حيث أورد الآية: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [4]. وطرح على الآية باكملها خمسة وعشرون سؤالاً وإجابة نذكر منها ما يتعلق بشاهد الإمام على النحو التالي :

السؤال الربع : ما الحكمة في التقرير بقوله " " أو لم تؤمن" وقد سبق عنه أنه المصطفى في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين[5] .

والجواب : أن هذه الآية ربما سمعت وحدها ، أو يجوز وقوع السؤال قبل الإخبار بآية الاصطفاء ، أو لأن الحكمة في ذلك حفظ السامع من الظن السوء المهلك[6] .

السؤال الخامس: مما وقع الاستدراك بقوله " ولكن ليطمئن قلبي" ؟[7] .

والجواب : أن الاستدراك وقع من نفى كون السؤال لعدم الإيمان وتقرير كونه لاطمئنان

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية ٢٦٠ .

(٢) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٥٤ .

(٣) الأعلام للزركلي ج٧/٥ .

(٤) سورة البقرة ، جزء من الآية ٢٦٠ .

(٥) مفاتيح الخزائن العلية ص٧٩ ، الواردات الإلهية المسمى بالوصايا، تأليف على وفا ، تحقيق وتعليق الفقير محمد إبراهيم محمد سالم، ص٢٧٨، طبعة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م .

(٦) مفاتيح الخزائن العلية ص ٨٣ ، الواردات الإلهية ص ٢٨٢ .

(٧) مفاتيح الخزائن العلية ص ٧٩ ، الواردات الإلهية ص ٢٧٨ .

القلب فقط والله أعلم[١] .

السؤال السادس: ما المراد باطئمنان القلب هنا؟[٢] .

والجواب : إن المراد بالاطمئنان هو سكون قلق التشوق لحصول هذا المسئول ، والتشوق لقضاء الوطر منه لا السكون من قلق وتردد وشك فيه، والله أعلم[٣] .

السؤال الثاني والعشرين : هل ذكر في هذه الآيات ما يدل على الباعث له على هذا السؤال ؟[٤] .

الجواب : أن قوله تعالى : " ليطمئن قلبي " فيه إشارة إلى الباعث على السؤال ، وأنه أراد سكون قلق الطلب بوصول المطلوب ولا شك ولا ريب ، ولكن تشوقاً لكشف الغيب والله أعلم[٥] .

هذا هو الشاهد الذي استأنس به الإمام البيجوري ليدلل على أن إيمان الأنبياء يزيد ولا ينقص لأن الكامل يقبل الكمال ولا ينقص، فإبراهيم عليه السلام كان مؤمناً ولم يتطرق إليه شك، وإنما كان الطلب لمشاهدة كيفية المعلوم المتحقق بالبرهان ليتحقق مع ذلك بالعيان ، أو سكون قلق التشوق لكشف الغيب.

---

(١) مفاتيح الخزائن العلية ص٨٣ ، الواردات الإلهية ص٢٨٢ .

(٢) مفاتيح الخزائن العلية ص ٧٩ ، الواردات الإلهية ص٢٧٨ .

(٣) مفاتيح الخزائن العلية ص٨٣ ، الواردات الإلهية ص ٢٨٢ .

(٤) مفاتيح الخزائن العلية ص ٨١ ، الواردات الإلهية ص ٢٧٩ .

(٥) مفاتيح الخزائن العلية ص٨٨ ، الواردات الإلهية ص٢٨٧ .

وينظر جميع الأسئلة وإجاباتها الطبقات الكبرى لواقح الأنوار في طبقات الأخيار تأليف عبدالوهاب بن أحمد بن علي الحنفي نسبة إلى ابن الحنفية الشعراني أبي محمد ت ٩٧٣هـ ، ج٢/٥٦ وما بعدها، طبعة ١٣١٥ هـ ، مكتبة المليجي ، مصر.

المبحث الثاني

اللطائف الصوفية في الإلهيات

الإلهيات : هي تلك المسائل المبحوث فيها عما يتعلق بالإلـــه[١] فيتنـــاول هـــذا المبحث جميع اللطائف الصوفية التي ذكرها الإمام البيجوري في الواجـــب أو الجـــائز أو المستحيل في حقه تعالى وذلك على النحو التالي :

اللطيفة الأولى

الوجود الذاتي وغير الذاتي

قال الإمام البيجوري : وبعضهم لا يشاهد لغيره وجوداً، وهو يسمى عندهم وحدة الوجود ، وقد غرق فيه من غرق حتى وقع من بعض الأولياء ما يوهم الاتحاد والحلول كقول الحلاج: أنا الله ، وكقول بعضهم : ما في الجبة إلا الله ، وهذا لا يجوز شرعاً لإيهامه لكن القوم تارة تغلبهم الأحوال فيؤول ما يقع منهم بما يناسبه، وممن أفتى بقتل الحلاج حين قال هذه المقولة السابقة الجنيد، كما جاء في شرح الكبرى[٢] .

إن هذه اللطيفة مع صغر حجمها تحمل بين ثناياها قضية هـــي أكبـــر وأخطـــر القضايا الصوفية ، والتي يمكن توضيحها من خلال الإشارات التالية:

أولاً : المصطلحات التي وردت بها :

وحدة الوجود عند الصوفي تعني سير السالك بسير كشفي من الكثرة والتعيينات (التي هي باطلة في الحقيقة أي هي عدم) إلى الحق ... وهذا السير هو عبارة عـــن وصول السالك إلى مقام الفناء في الله وتلاشى وإمحاء ذوات الكائنات في أشـــعة نـــور وحدة الذات كالقطرة في اليم[٣].

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٥٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٨ .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تأليف محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن صابر الفاروقي التهانوي (ت ١١٥٨هـــ)، تقديم وإشراف وفيق العجـــم ، ج١٢٨٧/٢ ، مكتبـــة لبنان ، ناشرون، الطبعة الأولى ١٩٩٦م .

والاتحاد وهو ظاهر البطلان لأن قول القائل أن العبد هو الرب كلام متناقض[١] أما الحلول فذلك يتصور بأن يقال أن الرب ــ تبارك وتعالى ــ حل في العبد أو العبد حل في الرب[٢] والجميع ظاهر البطلان .

ثانياً : الشطحات الواردة من بعض الصوفية :

ذكر الإمام البيجوري أمثلة لشطح الصوفية في هذا الصدد ومنهم الحلاج (ت ٣٠٩هـ) والحلاج قصة لا يمكن الوصول إلى عمقها أو تقرير نهايتها ففيما يعبر عن هذا الشطح يقول : رأيت ربي بعين قلبي... فقلت من أنت قال أنت[٣] ويقول عن العلاقة بين الحق والخلق:ما انفصلت البشرية عنه ولا اتصلت به ، إنه إذا قال العبد: "أنا" قال الله " تعست بل أنا " وإذا قال العبد : " لا بل أنت يا مولاي" قال المولى : " بل أنت يا عبدي " فيكون مراده مراد الله فيه لا فرق بيني وبين ربي إلا صفة الذاتية وصفة القائمية، قيامنا به، وذاتنا به[٤] .

ومع كل هذا الإيهام نجده يعبر عن قمة التنزيه فيقول: من ظن أن الإلهية تمتزج بالبشرية أو البشرية تمتزج بالإلهية فقد كفر ، فإن الله تفرد بذاته وصفاته عن ذوات الخلق، وصفاتهم فلا يشبههم بوجه من الوجوه ،ولا يشبهونه بشئ من الأشياء ، وكيف يتصور الشبه بين القديم والمحدث ، ومن زعم أن الباري في مكان أو على مكان أو متصل بمكان أو يتصور على الضمير ، أو يتخايل في الأوهام ، أو يدخل تحت الصفة أو النعت فقد أشرك[٥] .

أما قول الشبلي (ت ٣٣٤هـ) ما في الجبة إلا الله ، فقد ذكره الشعراني ونسبه إليه ، وقال معناه قولهم : ما في الوجود إلا الله كما لو قلت ما في المرآة إلا من

---

(١) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي ، ص ١٥٣ ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٥ .

(٣) كتاب الطواسين للحلاج ، ضمن الأعمال الكاملة للحلاج، تحقيق قاسم محمد عباس ص ١٨٠ ، مكتبة الإسكندرية ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م .

(٤) كتاب نصوص الولاية للحلاج ، ضمن الأعمال الكاملة للحلاج ص٢٣١ .

(٥) كتاب نصوص الولاية ص ٢٢٦ : ٢٢٧ .

تجلى لها لصدقت على علمك أنه ما في المرآة شئ أصلاً ، ولا في الناظر في المرآة مع إدراك النوع والتأثر في عين الصورة مع المرآة، وكون الناظر على ما هو عليه لم يتأثر وهذا كله من باب ألا كل شئ ما خلا الله باطل[١] .

ثالثاً : تأويل ما وقع من الصوفية :

مع تأكيد الإمام البيجوري على أن مثل هذه الألفاظ التي وقعت من الصوفية لا تجوز شرعاً لإيهام قصد الاتحاد أو الحلول ومن ثم القول بوحدة الوجود فهي في نفس الأمر لا تجوز، أما وإن القوم تارة تغلبهم الأحوال فيمكن أن يؤول ما يقع منهم بما يناسبه وقد اعتذر عنهم الغزالي وتأول لهم حيث قال : العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق ولكن منهم من كان له هذه الحال عرفاناً علمياً ، ومنهم من صار له ذلك حالاً ذوقياً ، وانتفت عنده الكثرة بالكلية ، واستغرقوا بالفردانية المحضة ، واستوفيت فيها عقولهم ، فصاروا كالمبهوتين فيه ، ولم يبق فيهم متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضاً ، فلم يكن عندهم إلا الله فسكروا سكراً دفع دونه سلطان عقولهم فقال أحدهم : أنا الحق ، وقال الآخر سبحاني ما أعظم شاني ، وقال آخر : ما في الجبة إلا الله، وكلام العشاق في حال السكر يطوي ولا يحكي فلما خف عنهم سكرهم وردوا إلى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في أرضه عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل شبه الاتحاد٠٠٠ وهذه الحالة إذا غلبت سميت بالإضافة إلى صاحب الحالة فناء الفناء لأنه فنى عن نفسه وفنى عن فنائه ٠٠٠ وتسمى هذه الحالة بالإضافة إلى المستغرق بلسان المجاز اتحاداً[٢] .

رابعاً : فتوى قتل الحلاج :

اختلف المشايخ في أمر الحلاج فرده أكبر المشايخ ونفوه وأبوا أن يكون له قدم في التصوف ، بل قد أفتى بعضهم بقتل الحلاج حين ذكر هذه المقولة ومنهم

---

(١) الفتح في تأويل ما صدر عن الكمل من الشطح ، تأليف عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ) ملحق بالمجموعة الصوفية الكاملة لأبي يزيد البسطامي (ت ٢٦١ هـ) تحقيق قاسم محمد عباس ص١٣٢، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م ٠

(٢) مشكاة الأنوارة ص ٥٧ : ٥٨ ٠

الجنيد[١] (ت ٢٩٧هـ) وقبله البعض وأثنوا عليه وصححوا عنه أقواله وحكوا عنه كلامه وجعلوه أحد المحققين حتى قال محمد بن خفيف : الحسين ابن منصور عالم رباني[٢] وذكر ابن خلكان ما نصه قتل الحسين الحلاج ولم يثبت عليه ما يوجب القتل رضي الله عنه[٣] .

وخروجاً من تلك الآراء التي لا يمكن القطع معها بحكم، فإن ما يمكن قوله أن التصوف تجربة ذاتية لا يمكن التعبير عن مضمونها وإن تم فلا يمكن فهمها على وجه الحقيقة، ولما كان التعبير عنها موجباً للإيهام على أي حال فلابد كما ذكر الغزالي أن يطوي ولا يحكى ، وقد قال الحلاج نفسه في ذلك لابنه : يا بني إن بعض الناس يشهدون على بالكفر ، وبعضهم يشهدون لي بالولاية، والذين يشهدون علي بالكفر أحب إلى وإلى الله من الذين يقرون بالولاية ، لأن الذين يشهدون لي بالولاية من حسن ظنهم بي ، والذين يشهدون علي بالكفر يشهدون تعصباً لدينهم، ومن تعصب لدينه أحب إلى الله ممن أحسن الظن بأحد[٤] .

---

(١) شرح العقيدة الكبرى ، المسماة عقيدة أهل التوحيد للإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي التلمساني (ت٨٩٥هـ) تحقيق السيد يوسف أحمد ، ص ١٢١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .

(٢) طبقات الصوفية ، تأليف محمد بن الحسين بن محمد بن سالم النيسابوري أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ص ٢٣٧ ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .

(٣) ينظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تأليف أبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) تحقيق : إحسان عباس ج٢/١٤٠ وما بعدها ، دار صادر ، بيروت.

(٤) نصوص الولاية ص ٢٥٠ : ٢٥١ .

اللطيفة الثانية

حول الصفات الإلهية

قال الإمام البيجوري : وما في اليواقيت للشعراني عن ابن العربي أنه تعالى يقدر على خلق المحال عقلاً، وأنه دخل الأرض المخلوقة من بقية خميرة آدم وهي مدينة إنما تدخلها الأرواح فرأى فيها ذلك بعينه ، كلام لا يجوز اعتقاد ظاهره، وقد نقل أنه مدسوس على الشيخ[1] .

قال الإمام تعليقاً على قوله تعالى : ﴿ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ ﴾ [2]. ومما لا يقال إنه من باب تنزيل المتكلم منزلة من لم يعلم وأن ذكره في اليواقيت عن ابن العربي ولا أظنه إلا مدسوساً على الشيخ[3] .

هذه اللطيفة تحمل في طياتها إشارتين الأولى تتعلق بصفة القدرة والثانية بصفة العلم ويمكن تحليل ذلك من خلال ما يأتي :

الإشارة الأولى : تعلق صفة القدرة بالمحال عند ابن عربي وقد ذكر عنه الشعراني أنه تعالى يقدر على خلق المحال عقلاً[4] وقد علق الإمام البيجوري بانه قد نقل أن ذلك مدسوس على الشيخ، وعند التحقيق نجد أن ابن عربي ذكره في الفتوحات المكية حيث قال : اعلم أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام الذي هو أول جسم إنساني تكون ، وجعله أصلاً لوجود الأجسام الإنسانية وفضلت من خميرة طينته فضلة خلق النخلة فهي أخت آدم عليه السلام وهي لنا عمة ، ... وفضل عن الطينة بعد خلق النخلة قدر السمسمة في الخفاء فمد الله في تلك الفضلة أرضاً واسعة ... وفي هذه الأرض ظهرت عظمة الله وعظمت عند المشاهد لها قدرته ، وكثير من المحالات العقلية التي قام الدليل الصحيح العقلي على إحالتها هي موجودة في هذه الأرض وهي مسرح عيون العلماء العارفين بالله[5] .

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٧١ .

(٢) سورة الكهف : جزء من آية ١٢ .

(٣) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٧٧ .

(٤) اليواقيت والجواهر ج١/١٦٠ : ١٦١ .

(٥) الفتوحات المكية لابن عربي ج١/١٩٥ .

هذا وقد نبه الإمام البيجوري مبدأياً على أن هذا ضرب مما لا يجوز اعتقاده فالقدرة لا تتعلق إلا بالممكن ويخرج بذلك الواجب والمستحيل فلا تتعلق بكل منهما لأنها إن تعلقت بالواجب فلا يصح أن تعدمه لأنه لا يقبل العدم ، ولا يصح أن توجده لأنه يلزم منه تحصيل الحاصل ، وإن تعلقت بالمستحيل فعلى العكس من ذلك[١] .

الإشارة الثانية : حول ما نسب لابن عربي في تفسير مثل قوله " لنعلم " من أنه رأى أن ذلك من باب تنزيل المتكلم منزلة من لم يعلم، وقد ذكر الإمام أنه ربما يكون مدسوساً على الشيخ إذ أن ذلك يستلزم أن يكون علم الله تعالى مكتسب وعند البحث عن ذلك عند ابن عربي نفسه يتضح أن رأيه في هذه المسألة يحوطه ضرب من الغموض فيقول : إن العلم يتغير بتغير المعلوم ، ولا يتغير المعلوم إلا بالعلم ، فقل لنا كيف الحكم في هذه المسألة التي حارت فيها العقول[٢] ، وفي التعريف باسم الله الخبير يقول : الخبير كل علم حصل بعد الابتلاء قال تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [٣] ويقول وكن على علم أنه لا يجري عليك إلا ما كنت عليه حتى تعلم أن الحجة البالغة لله ، فكأنه يقول : كذا علمتك وما علمتك إلا منك ... وقوله : ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [٤] . وقد أطلعهم الله عند ذلك على ما كانوا عليه وأن علمه ما تعلق بهم إلا بحسب ما هم عليه[٥] .

وبناء على ما سبق يمكن القول أن عبارات الشيخ تقترب من المعنى الذي ذكره عنه الشعراني إن صح نسبة ذلك إليه .

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص٧١ .

(٢) الفتوحات ج٨/٩٠ .

(٣) سورة محمد جزء من الآية : ٣١ .

(٤) سورة الأنبياء جزء من الآية : ٢٣ .

(٥) الفتوحات ج٧/٣٥١ : ٣٥٢ .

اللطيفة الثالثة

حول أسماء الله العظيمة

قال الإمام البيجوري : واختلف هل بينها تفاضل أو لا ؟ فقيل لا تفاضل بينها وفي اليواقيت عن ابن العربي : أن أسماء الله تعالى متساوية في نفس الأمر لرجوعها كلها إلى ذات واحدة ، وإن وقع فيها تفاضل فإن ذلك لأمر خارج، والحق أنها متفاضلة وأعظمها لفظ الجلالة وهو الاسم الأعظم وكان سيدي علي وفا ـ رضي الله عنه ـ يذهب إلى التفاضل في الأسماء ويقول في قوله تعالى : ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ [1]. هو اسم الله فإنه أعلى مرتبة عن سائر الأسماء قال ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [2]. أي ولذكر اسم الله أكبر من ذكر سائر الأسماء أفاده الشيخ الأمير [3].

وقال ، وفصل الغزالي فجوز إطلاق الصفة وهي ما دل على معنى زائد على الذات ومنع إطلاق الاسم وهو ما دل على نفس الذات [4].

في هذه اللطيفة إشارتين يسجلهما الإمام:

الإشارة الأولى : في التفاضل بين أسماء الله تعالى ويرصد فيها الإمام وجهتين للصوفية .

الأولى : إنه لا تفاضل في أسماء الله تعالى ويمثلها ابن عربي وقد نقل عنه الشعراني قوله : ليست بين حضرات الأسماء الإلهية بون معقول حقيقة لارتباط الأسماء كلها بمسماها، ويكون كل اسم فيه قوة جميع الأسماء[5] ويقول ابن عربي : وجميع الأسماء الإلهية بلغت ما بلغت لابد أن ترجع إلى واحد من هذه الأقسام أو إلى أكثر من واحد مع ثبوت دلالة كل اسم منها على الذات... وحكم الواحد منها حكم الكل في

(١) سورة التوبة ، جزء من الآية : ٤٠ .
(٢) سورة العنكبوت ، جزء من الآية ٤٥ .
(٣) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٩٧ .
(٤) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٩٨ .
(٥) اليواقيت والجواهر ج١/١٥٣ .

الدلالة على العلم بالله من حيث هو إله العالم خاصة[١] فاسماء الله إذن متساوية في نفس الأمر لرجوعها كلها إلى ذات واحدة وإن وقع فيها تفاضل فإن ذلك لأمر خارج ، ويوضح الشيخ الأمير هذا الأمر الخارج فيقول: وذلك كالتخلق بما يناسب هذا الاسم ، أو صدق التوجه [٢].

الثانية أن الأسماء بينها تفاضل ويمثل هذه الوجهة على وفا[٣] وكان يقول : (كلمة الله هي العليا) أي الكلمة التي هي قولك الله هي الكلمة العليا فهي الاسم الأعظم[٤].

وهنا يجب التنبيه على وجهة نظر ثالثة عند الصوفية وهي رأي الإمام الغزالي وهي وإن كانت تقترب من الوجهة الثانية حيث يرى أن الأسماء تتفاوت فضيلتها لتفاوت معانيها في الجلالة والشرف إلا أنها تختلف في تحديد الاسم الأعظم من هذه الأسماء فيحتمل أن يكون الاسم الأعظم خارج هذا العدد المشهور عند الجمهور ، ويحتمل أنها تشتمل على هذا الاسم لكنه مبهم فيها لا يعرفه إلا نبي أو ولي[٥] .

الإشارة الثانية : وقد أشار فيها البيجوري إلى تفصيل الإمام الغزالي بين جواز إطلاق الصفة ، ومنع إطلاق الاسم فإن كل ما يرجع إلى الاسم فذلك موقوف على الإذن وما يرجع إلى الوصف فذلك لا يقف على الإذن بل الصادق منه مباح لا الكاذب[٦] والدليل على منع وضع اسم لله تعالى هو المنع من وضع اسم للرسول ﷺ لم يسم به نفسه أو سماه به ربه ، وإذا كان المنع في حق الرسول ﷺ فهو في حق الله أولى.

---

(١) الفتوحات المكية ج٢٩٠/٧ .

(٢) حاشية الأمير على اتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد ، تأليف محمد بن محمد أحمد بن عبد القادر السنباوي (ت١٢٣٢هـ) تحقيق أحمد فريد المزيدي ص ١٧٦ : ١٧٧، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

(٣) اليواقيت والجواهر ج١٤٢/١ .

(٤) الواردات الإلهية ص ٨٠ .

(٥) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ١٦٩ .

(٦) المرجع السابق ص ١٧٣ .

وأما دليل إباحة الوصف فهو أنه خبر عن أمر والخبر ينقسم إلى صدق وكذب ، والشرع قد دل على تحريم الكذب في الأصل فالكذب حرام إلا لعارض ودل على إباحة الصدق ، فالصدق حلال إلا لعارض ... وبذلك فإن مالا يوهم نقصاً، أو يدل على مدح فذلك مطلق ومباح[1] .

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ١٧٥ .

اللطيفة الرابعة

حول النصوص الموهمة للتشبيه

قال الإمام البيجوري : سأل الزمخشري الغزالي عن هذه الآية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [1]. فأجاب بقوله : إذا استحال أن تعرف نفسك بكيفية أو أنية فكيف يليق بعبوديتك أن تصفه تعالى بأين أو كيف وهو مقدس عن ذلك[2].

وقال : سأل الشعراني شيخه الخواص لماذا يؤول العلماء الموهم الواقع من الشارع ولا يؤولون الواقع من الولي بالأولى ، فقال : لو انصفوا لأولوا الواقع من الولي بالأولى لأنه معذور بضعفه في أحوال الحضرة ، بخلاف الشارع فإنه ذو مقام مكين ، وقد يقال الشارع ينبغي المحافظة على الواقع منه ما أمكن لأنه يقتدي له ولا كذلك الولي فإنه لا يحافظ على كلامه لأنه لا يقتدي به فإذا أوهم أهدر[3]

يمكن تحليل تلك اللطيفة من خلال ما يأتي :

أولاً : رأي الإمام الغزالي في الاستواء على العرش :

ذهب الإمام الغزالي إلى أنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء، وهو الذي لا ينافي الكبرياء ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء، وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال في القرآن ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [4]. وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستلاء ... فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسماً مماساً للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال وما يؤدي إلى المحال فهو محال[5] .

ثانياً : رأي الخواص (ت ٩٤٥هـ) في تأويل كلام الولي:

ذهب الخواص إلى أن كلام الولي أولى بالتأويل من كلام الشارع ثم ذكر أسباب الاتجاه إلى تأويل كلام الشارع لأنه ينبغي الحفاظ عليه بخلاف كلام الولي ، وجاء عنه :

---

(١) سورة طه آية : ٥ .

(٢) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص١٠١ .

(٣) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٠٢ .

(٤) سورة فصلت ، آية : ١١ .

(٥) إحياء علوم الدين ج١/١٥٨ : ١٥٩ .

عجبت ممن يؤول أخبار الصفات ، كيف لا يؤول كلام العارفين مع أنهم أولى بالتأويل لنقص مقامهم من مقام الرسل الذين جاءوا بالبينات الصفات وأخبارها[١] وبإزاء مسألة النصوص الموهمة يقول : مما يزيل توهم أن الحق مستو على عرشه مثل استواء الأجسام أن تعلم يا أخي أن الحق تعالى كان موصوفاً بالاستواء ٠ والنزول إلى السماء الدنيا قبل خلق العرش والسماء ، لأن صفاته تعالى قديمة ، فكان يستو على ماذا ؟ وينزل من أين ؟ فما تتعلقه يا أخي من الاستواء والنزول قبل خلق العرش والسماء فتعلقه بعد خلقها[٢]٠

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن الخواض كان يؤثر التنزيه مع التفويض في مسألة النصوص الموهمة للتشبيه ٠

(١) الجواهر والدرر الكبرى ص ٢٥٤ ٠

(٢) الجواهر والدرر ص١٥٩ : ١٦٠ ٠

اللطيفة الخامسة

وحدة الأفعال عند الصوفية

قال الإمام البيجوري عند شرحه لقول الناظم (فخالق لعبده وما عمل): وهذا يسمى عند العارفين بوحدة الأفعال[١].

وحدة الأفعال تعني أن العارف لا يشهد فعلاً لسوى الله تعالى[٢]. قال السهروردي :

رأيت خيال الظل أكبر عبرة ... لمن كان في علم الحقيقة راقي
شخوص وأشباح تمر وتنقضي ... سريعاً وأشكالاً بغير وفاق
تجئ وتمضي تارة بعد تارة ... ونفني جميعاً والمحرك باقي[٣]

وهي تتمثل عند العارفين في تجلي الصفات ، فإذا تجلت قدرته عليه فلا يخاف غيره لكفايته له ، فلا يرجو سواه، وكذلك جميع الصفات[٤] .

ويقول الكلاباذي على لسان أحدهم : فيكون حالة الوصل هو أن يكون الله مصرفي فلا أكون أنا في أفعالي فهو الله تعالى لا أنا كما في قوله تعالى:﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[٥]. وهذا لسان الحال ولسان العلم ، ان الله مصرفي ، وأنا به متصرف[٦] .

والحق وإن كانت الأفعال مخلوقة لله تعالى إلا أن العبد له فيها الكسب وعليه مسئولية وله بها جزاء ، وليس معنى ذلك أنه مسلوب الإرادة ومجبور جبراً مطلقاً ، وإلا فكيف جاء إجماع الصوفية بأنهم مختارون لاكتسابهم مريدون له وليسوا بمحمولين عليه ولا مجبرين فيه ولا مستكرهين[٧] .

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٠٩ .
(٢) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ص ٢٣٢ .
(٣) ديوان شيخ الإشراق (السهروردي) جمعه وحققه أحمد مصطفى الحسين ، ضمن موسوعة مصنفات السهروردي ص ٨٢٩ .
(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٢١ .
(٥) سورة الأنفال ، جزء من الآية ١٧ .
(٦) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٢٢ .
(٧) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٧٤ .

اللطيفة السادسة

حول التوفيق والخذلان

قال الإمام البيجوري : سئل الجنيد : أيعصى الولي ؟ فأطرق ثم رفع وقال (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) ومن كلام ابن القارض :

من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط

فأجاب الهاتف: محمد الهادي الذي ... عليه جبريل هبط[1]

أيعصى الولي ؟ سؤال كثيراً ما طرح على الصوفية خاصة واختلفت إجاباتهم وقد ذكرت للقشيري إجابة في ذلك حيث قال : إن قيل هل يكون الولي معصوماً أم لا ؟ قلنا إما وجوباً كما يقال في : حق الأنبياء أو محفوظاً فلا يصر على الذنوب، وإن حصلت هفوات في أوقات أو زلات فلا يمتنع ذلك في وصفهم ، وقد قيل للجنيد : العارف يزني ؟ فأطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال : (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) [2] .

ونسب إلى أبي يزيد البسطامي نفس الإجابة حين سئل أيعصي العارف فقال : وكان أمر الله قدراً مقدوراً، ولم يقل لا أدباً مع الله ، والمعنى ومعصية أهل الله بحكم القدر النافذ فيهم لا بحكم شهواتها[3] .

وترنم ابن الفارض وكأنه يطرح السؤال على نفسه : من ذا الذي ما ساء قط... الخ فأجابه الهاتف محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط[4] .

وقال البسطامي لتوضيح الفارق بين العصمة ومجرد الحفظ مما يلقيه إليهم الشيطان : أعلم أن الشيطان لا ياتي إلى أحد من الأنبياء إلا في ظاهر الحس فقط لأنه ليس له إلى باطن الأنبياء من سبيل ، ولذلك كانت خواطرهم لا حظ للشيطان فيها ... وأما الأولياء فمنهم من يحفظ منه في علم الله تعالى ، فيكون بهذه المثابة في العصمة مما يلقي ، لا في العصمة من وصوله إليه لأنه ليس بمشرع بخلاف الأنبياء ، عصمت

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١١٢ .

(٢) بستان العارفين ، تأليف أبي بكر زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ) ، ص٦٦ ، دار الريان للتراث .

(٣) اليواقيت والجواهر ج٢/٣١١ .

(٤) وفيات الأعيان ج٣/٤٥٥ .

بواطنهم لأنهم مشرعون[1] .

وخلاصة القول : أن جميع الآراء وإن اختلفت ألفاظها تجتمع حول أن المعصية تجوز في حق الأولياء ويجوز للشيطان الوصول إليهم إلا أنهم محفوظون من الله تعالى وإن وقعت المعصية منهم فعلاً فذلك لجريان القدر عليهم وليس لشهوتها .

(١) المجموعة الصوفية الكاملة لأبي يزيد البسطامي ص ١٤٦ .

اللطيفة السابعة

الجبر والاختيار

قال الإمام البيجوري : ولذلك قال سيدي إبراهيم الدسوقي من نظر للخلق بعين الحقيقة عذرهم ، ومن نظر لهم بعين الشريعة مقتهم ، فالعبد مجبور في صورة مختار والصوفية يشيرون للجبر كثيراً ، وحاشاهم الجبر الظاهري، وإنما مرادهم الجبر الباطني[1] .

ذكر الإمام هذه اللطيفة بعد تقرير القول في الجبر والاختيار حيث قال : وبالجملة فليس للعبد تأثير ما ، فهو مجبور باطناً مختار ظاهراً [2] وهكذا كان ذكر الإمام لمقولة الدسوقي (ت٦٧٦هـ) من باب الاستئناس ، وليس هذا الرأي مقصوراً على الدسوقي فقط بل أجمع الصوفية على أن الله خالق لأفعال العباد كلها كما أنه خالق لأعيانهم ، وأن كل ما يفعلونه من خير أو شر فبقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته ، ولولا ذلك لم يكونوا عبيداً ولا مربوبين ولا مخلوقين ... وقال جل وعز : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [3] ... فلما كانت أفعالهم أشياء وجب أن يكون الله خالقها[4] .

ومع ذلك فإنهم لا يقولون بالجبر الظاهري كما ذكر الإمام، فأجمعوا أن لهم أفعالاً واكتساباً على الحقيقة هم بها مثابون وعليها معاقبون ولذلك جاء الأمر والنهي وعليه ورد الوعد والوعيد[5] ، وقال بعض الكبراء منهم من لم يؤمن بالقدر فقد كفر ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر[6] .

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١١٨ .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) سورة الرعد ، جزء من الآية : ١٦ .

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٤٤ : ٤٥ .

(٥) المرجع السابق ص ٤٧ .

(٦) المرجع السابق ص ٤٨ .

اللطيفة الثامنة

حول رؤية الله تعالى

قال الإمام البيجوري : محل الرؤية الجنة بلا خلاف فيراه أهلها في مثل يوم الجمعة والعيد ، ويراه خواصهم في كل يوم بكرة وعشيا ، وبعضهم لا يزال مستمراً في الشهود حتى قال أبو يزيد البسطامي إن لله خواصاً من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار[1] .

وقال : وكان ﷺ يراه في كل مرة من مرات المراجعة ، ومن كلام ابن وفا إنما كان ترجيع موسى عليه الصلاة والسلام للنبي ﷺ في شأن الصلوات ليتكرر مشاهدة أنوار المرات وأنشد يقول :

والسر في قول موسى إذ يراجعه ... ليتجلى النور فيه حيث ينشده

يبدو سناه على وجه الرسول فيا ... لله حسن رسول إذ يرددده[2]

واختلف في وقوعها للأولياء على قولين للأشعري أرجحهما بالمنع ... قال العلامة القونوي فإن صح عن أحد من المعتبرين وقوع ذلك أمكن تأويله وذلك أن غلبات الأحوال تجعل الغائب كالشاهد حتى إذا كثر اشتغال السر بشئ صار كأنه حاضر بين يديه كما هو معلوم بالوجدان لكل واحد، وعلى هذا يحمل ما وقع في كلام ابن الفارض[3] .

وقال: قال بعض الصوفية إنه رأى ربه في منامه على وصفه فقيل له كيف رأيته فقال انعكس بصري في بصيرتي فصرت كلي بصراً فرأيت من ليس كمثله شئ[4] .

إن هذه اللطيفة الطويلة تظهر ما يندرج تحتها بوضوح وهذا ما يمكن تسجيله فيما ياتي :

١ ــ أجمع الصوفية على أن الله تعالى يرى في الآخرة بالأبصار وإنه يراه المؤمنون

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص١٣٣ .

(٢) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٣٤ .

(٣) المرجع السابق ص ١٣٥ .

(٤) المرجع السابق ص ١٣٥ .

دون الكافرين لأن ذلك كرامة٠٠٠ ولا يجوز أن يكون ذلـــــــك إلا في أفضل مكان، ولو أعطوا في الدنيا أفضل النعم لم يكن بين الدنيا الفانية والجنة الباقيـــة فرق [١].

وأن رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة تكون بجميع أجسامهم وذلك لكمال النعيم الأبدي فلا تتقيد رؤيتهم له بباصر العين بل كلهم أبصار[٢] وتكـــون بتوقيتـــات مختلفة إلا الخواص فيستمرون في الشهود، وكما قال أبو اليزيد لـــو حجـــبهم لاستغاثوا[٣] .

٢ ــ إن وقوع الرؤية في الدنيا يقظة لم تثبت إلا للنبـــي ﷺ لمـــا رأى ربـــه ليلـــة الإسراء وفرض عليه خمسين صلاة ، وأتى على موسى عليه السلام فقال لـــه ارجع إلى ربك فسأله التخفيف ، فكانت الحكمة الظاهرة من المراجعة التخفيـــف والحكمة الباطنة اقتباس نور الرؤية من وجهه ﷺ ففي كل مرة يزداد نوراً مـــن النور الذي حصل له من الرؤية ، وفي ذلك المعنى قال ابن وفا : والســـر فـــي قول موسى إذ يراجعه ٠٠٠ الخ[٤] .

ولم يكن الصوفية على اتفاق في ذلك فقال الجمهور منهم والكبار أنه لم يره ﷺ ببصره ولا أحد من الخلائق في الدنيا ٠٠٠ وقال بعضهم رآه ﷺ وأنه خص من بين الخلائق بالرؤية٠٠٠ ومنهم أبـــو عبـــد الله القرشـــي والشـــلبي وبعـــض المتأخرين[٥].

٣ ــ اختلف في وقوعها في الدنيا للأولياء على قولين للأشعري أرجحهمـــا المنـــع ، وقد جاء عن الصوفية أنفسهم ذلك فقال الكلاباذي : ولا نعلـــم أحـــداً مـــــن مشايخ هذه العصبة المعروفين منهم والمتحققين به ، ولم نر فـــي كتـــبهم ولا

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٤٣ : ٤٤ ٠

(٢) اليواقيت والجواهر ج٢٢١/١ ٠

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بـــن إســـحاق بـــن موســـى الأصفهاني (ت ٤٣٠هـــ) ج٣٤/١٠ ، طبعة ١٣٩٤هـــ ــ ١٩٧٤م ، مكتبة الســـعادة ، مصر ٠

(٤) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ص٢٦٨ ، حاشية ابن الأمير ص٢٠٧ ٠

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٤٤ ٠

مصنفاتهم ولا رسائلهم ، ولا في الحكايات الصحيحة عنهم ولا سمعنا ممن أدركنا منهم زعم أن الله يرى في الدنيا ، أو رآه أحد من الخلق ، إلا طائفة لم يعرفوا بأعيانهم بل زعم بعض الناس أن قوماً من الصوفية ادعوها لنفسهم وقد أطبق المشايخ كلهم على تضليل من قال ذلك وتكذيب من ادعاه ، وصنفوا في ذلك كتباً منهم : أبو سعيد الخراز والجنيد[١] .

٤ ــ إذا صح عن أحد المعتبرين ذلك أمكن تأويله وعلى هذا ما وقع في كلام ابن الفارض ، وقد جاء عنه .

وأباح طرفي نظرة أملتها فغدوت معروفاً وكنت منكرا[٢]

وفي تأويل الصوفية أنفسهم لمثل ذلك: ما يروي أن الشيخ عبد القادر الجيلي قيل له أن فلاناً يزعم أنه يرى الله تعالى بعيني رأسه فأرسل الشيخ خلفه وقال له : أحق ما يقول هؤلاء عنك فقال نعم ، فانتهره الشيخ وزجره عن هذا القول وأخذ عليه العهد أن لا يعود عليه فقيل للشيخ : أمحق هذا الرجل أم مبطل ؟ فقال : هو محق ملبس عليه ، وذلك أنه شهد ببصيرته نور ذلك الجمال البديع ثم خرق من بصيرته إلى بصره منفذ ، فرأى ببصره حال اتصال شعاعها نور شهوده، فظن أن بصره الظاهر رأى ما شهدته بصيرته ، وإنما رأى بصره حقيقة بصيرته فقط[٣]

٥ ــ أن وقوع الرؤية في الدنيا مناماً لا نزاع في صحتها[٤].

وما ذكر في اللطيفة عن كيفيتها فقد جاء فيه تكون الرؤية بالذات كلها كما قال الإمام الشاذلي لما كف بصره انعكس بصري لبصيرتي فصرت أبصر بكلي[٥] .

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٤٤ .

(٢) حاشية ابن الأمير ص ٢٠٨ .

(٣) اليواقيت ج٢٢٩/١ .

(٤) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٣٥ .

(٥) حاشية ابن الأمير ص ٢٠٢ .

المبحث الثالث

اللطائف الصوفية في النبوات

النبوات : هي المسائل التي يبحث فيها عما يتعلق بالأنبياء[١] ولما كان الصوفية يحاولون ــ في مجموعهم ــ التشبه بأفعال الأنبياء فكانت مجمل هذه اللطائف لدى الإمام حول الأولياء وأفعالهم أكثر من أن تكون عن رأيهم في تلك المسائل وذلك ما يمكن رصده من خلال اللطائف التالية :

اللطيفة الأولى

حول عصمة الأنبياء عليهم السلام

قال الإمام البيجوري : فأفعالهم عليهم الصلاة والسلام دائرة بين الواجب والمندوب ، بل في الأولياء الذين هم أتباعهم من يصل لمقام تصير حركاته وسكناته طاعة بالنيات ... وما وقع من آدم فهو معصية لا كالمعاصي لأنه تأول الأمر لسر بينه وبين سيده وإن لم نعلمه حتى نقل في اليواقيت عن أبي مدين لو كنت بدل آدم لأكلت الشجرة بتمامها فهو وإن كان منهياً ظاهراً مأموراً باطناً[٢] .

في هذه اللطيفة يضرب الإمام أمثلة لبيان عصمة الأنبياء وما قد يرد عليها من وجهة نظر صوفية وهي كالتالي :

المثال الأول : أن الأولياء الذين هم أتباع الأنبياء منهم من تصير حركاته وسكناته طاعة بالنيات ، ومن ذلك : غرق السفينة وقتل الغلام الواقع من الخضر عليه السلام ، فهو بحسب الظاهر حرام وبحسب الباطن مصلحة[٣] فالإخلاص عند الصوفية كما يقول سهل : أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة[٤] .

فإذا كان ذلك للأولياء الذين هم أتباع الأنبياء فهو للأنبياء أولى وأحق ، وإن كان الظاهر خلاف ذلك: فإن ما جرى على الأنبياء إنما جرى على ظواهرهم ، وأسرارهم مستوفاة بمشاهدات الحق ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٥٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٨ : ١٣٩ .

(٣) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ص ٢٨١ .

(٤) إحياء علوم الدين ج٥/٢٩ .

نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [1]. وقالوا لا تصح الأعمال حتى يتقدمها العقود والنيات ومالا عقد فيه، ولا نية فليس بفعل ، وقد نفى الله تعالى الفعل عن آدم بقوله : فنسى ولم نجد لله عزماً " لنفي النية[2] .

المثال الثاني : إن ما وقع من آدم فهو معصية لا كالمعاصي لأنه تأول الأمر لسر بينه وبين سيده ، ولذا كان الشيخ أبو مدين التلمساني (ت ٥٩٤هـ) يقول : لو كنت مكان آدم لأكلت الشجرة بتمامها[3] فهو وإن كان منهياً ظاهراً مأموراً باطناً ، وجاء عنهم في ذلك :" أن الله سبحانه وتعالى لما قضى في سابق علمه بالسعادة لقوم والشقاوة لقوم، ولم يبدل ذلك القول لديه فلابد من فاتح يفتح القبضتين : فكان إبليس فاتحاً لقبضة الشقاوة ، وآدم عليه السلام فاتحاً لقبضة السعادة ، فإبليس شقي ، وآدم سعيد هو وذريته الذين اقتفوا آثاره في التوبة والاعتراف ، فإن آدم مع علمه بأن ما وقع منه كان بقضاء وقدر اعترف بذنبه[4].

(١) سورة طه ، جزء من الآية ١١٥ .

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٧١ .

(٣) اليواقيت ج٢/٣١٧ .

(٤) المرجع السابق ج٢/٣١٨ .

اللطيفة الثانية

حكم الولاية

قال الإمام البيجوري : أما الولاية ففيها طريقتان والأظهر التفضيل ، فمنها ما هو مكتسب وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات وتسمى الولاية العامة ، ومنها ما هو غير مكتسب وهو العطايا الربانية كالعلم اللدني ، ورؤية اللوح المحفوظ [١].

حكم الولاية عند الصوفية هو موضوع هذه اللطيفة ، وقد جاء عنهم التفصيل فيه إذ أن الولاية عند الصوفية ولايتان : ولاية لا تخرج من العداوة (عداوة الشيطان) وهي لعامة المؤمنين ٠٠٠ فيقال من جهة العموم المؤمن ولي الله ، وولاية خاصة واصطفاء ٠٠٠ ومن كان بهذه الصفة لم يكن للعدو إليه طريق بمعنى الإغواء[٢] ٠

أما الولاية العامة بمعنى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات فهي مكتسبة مكلف بها كل إنسان[٣] وأما الولايةغير المكتسبة هي الولاية الخاصة ، ومعناها العطايا الربانية من العلم اللدني والخطوة ورؤية اللوح المحفوظ وغير ذلك[٤] ٠

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٤٧ ٠

(٢) التعرف لمذهب أهل لتصوف ص ٧٤ : ٧٥ ٠

(٣) شرح الصاوي على الجوهرة ص ٢٩٣ ٠

(٤) المرجع السابق ص ٢٩٢ ٠

اللطيفة الثالثة

حول براءة السيدة عائشة رضي الله عنها

قال الإمام البيجوري : فقال أبو بكر لعائشة قومي فاشكري لرسول الله ﷺ ، فقالت لا والله لا أشكر إلا الله الذي برأني ، لكن لم يكن ذلك لشئ كان في نفسها من رسول الله ﷺ ، فإن مقامها يجل عن ذلك ، وإنما استغرقت في مقام الشهود فلم تشهد إلا الله[1].

إن محور الحديث في هذه اللطيفة هو مقام الشهود وهو ما يسمى عند الصوفية بوحدة الشهود ، ولقد علل البعض فعلها هذا باستغراقها في وحدة الوجود[2]،ومن هنا يجدر في هذا المقام ومن وجهة نظر الصوفية تحرير المراد بوحدة الشهود من خلال ما يأتي :

١ ـ التفرقة بين وحدة الشهود ووحدة الوجود :

وحدة الوجود تعني ــ كما سبق ــ عند الصوفي سير السالك بسير كشفي من الكثرة والتعيينات (التي هي باطلة في الحقيقة أي عدم) إلى الحق ... وهذا السير هو عبارة عن وصول السالك إلى مقام الفناء في الله وتلاشي وإمحاء ذوات الكائنات[3] ومن ثم يقول القشيري وحدة الوجود مذهب فلسفي ببتعد عن المنهج القلبي العرفاني الذي أخطته أرباب المجاهدات والأحوال للوصول إلى وحدة الشهود ، وفي وحدة الشهود ... يبقى دائماً شئ هام وقوي وناصع وهو أن العبد عبد والرب رب، لا تداخل ولا امتزاج ولا حلول ولا اتحاد[4] .

٢ ـ التفرقة بين وحدة الشهود والرؤية :

إن الرؤية لا يتقدمها علم بالمرئي أبداً ، والشهود يتقدمه علم بالمشهود وهو المسمى بالعقائد ... وإيضاح ذلك أن الشاهد ما سمي شاهداً إلا لكون ما رآه يشهد

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٦٧ .

(٢) شرح الصاوي على الجوهرة ص ٣١٤ ، وعلق المحقق بقوله لعل الإمام يقصد وحدة الشهود .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون ج١٢٨٧/٢ .

(٤) لطائف الإشارات تفسير القشيري ، تحقيق إبراهيم البسيوني ، ج٥/١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر .

بصحة ما اعتقده قال تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾[1] أي يشهد بصحة ما اعتقده ومن هنا سأل موسى الرؤية بقوله : ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ ﴾ [2] وما قال أشهدني، فما طلب موسى إلا الرؤية الخاصة بالأنبياء في الآخرة ليجعلها الله تعالى له في الدنيا ٠٠٠ إن الشهود هو ما تمسكه في نفسك من شاهد الحق المشار إليه بحديث عبد الله (كأنك تراه) [3] فقوله كأنك تراه هو شاهد الحق الذي أقمته في نفسك وهذه درجة التعليم، ثم يرتقي منها إلى درجة الخصوص وهي علمك بأن الله يراك ولا تراه، وذلك لأنك ضبطت شهوده تعالى في قلبك عند صلاتك مثلاً في جهة القبلة ، فقد أخليت شهودك من بقية الوجود المحيط بك، وإذا تحققت بذلك علمت عجزك عن الإحاطة به تعالى لأنك مقيد وهو تعالى مطلق وأنت ضيق وهو تعالى؛ واسع ، وحينئذ تبقى مع نظرة المحقق إليك لا مع نظرك انت إليه ٠٠٠ فإذن الشهود له المعرفة والرؤية الكشف التام[4] ٠

(١) سورة هود ، جزء من الآية : ١٧ ٠

(٢) سورة الأعراف ، جزء من الآية : ١٤٣ ٠

(٣) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وعلم الساعة، حديث رقم ٥٠ ، صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة موافقة لترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ج١/٢٢: ٢٣، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٣م ٠

(٤) اليواقيت ج١/٢١٨ ــ ٢١٩ ٠

اللطيفة الرابعة

حول الأئمة هداة الأمة

قال الإمام البيجوري : أبو القاسم محمد الجنيد ، سيد الصوفية علماً وعملاً ... وكان الجنيد رضي الله عنه على مذهب أبي ثور صاحب الإمام الشافعي فإنه كان مجتهداً اجتهاداً مطلقاً ... ومن كلام الجنيد : الطريق إلى الله مسدود على خلقه إلا المقتفين آثار الرسول ﷺ ، ومن كلامه أيضاً لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله ، ومن كلامه أيضاً إن بدت ذرة من عين الكرم والجود ألحقت المسئ بالمحسن وبقيت أعمالهم فضلاً لهم، ودخل عليه إبليس في صورة فقير يريد خدمة الشيخ فخدمه مدة طويلة ثم أخبره بنفسه وقال له خدمتك مدة ولم يختل من عملك شئ، فلم يرتضى قوله لما فيه من الدخيل وقال له أنا عارف بك من أول ما دخلت واستخدمتك عقوبة لك لعلمي أن لا أجر لك في الخدمة ثم خرج خاسئاً، ... والجنيد ونحوه هداة الأمة في التصوف[1].

تلقى هذه اللطيفة الضوء على لمحات من السيرة الذاتية لسيد الصوفية، وقد عده الناظم للجوهرة والشارح من هداة الأمة الذين يجب الاقتداء بحبر منهم ، وهذه السيرة من الوضوح بمكان لا تحتاج معه إلا مجرد التسجيل على ما يأتي :

١ ــ الجنيد سيد الصوفية علماً وعملاً هو الجنيد بن محمد أبو القاسم الجزاز ، وكان أبوه يبيع الزجاج فلذلك كان يقال له قواريري ... وصحب السر السقطي، والحارث المحاسبي ومحمد بن القصاب البغدادي، وغيرهم من أئمة القوم وساداتهم ، مقبول على جميع الألسنة[2] .

٢ ــ يقول الجنيد : الطريق إلى الله مسدود على خلقه إلا على المقتفين آثار الرسول ﷺ ، حيث إن من أصول الطريق عند الجنيد الكتاب والسنة ، والالتزام بالتكاليف الشرعية ، فيقول من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدي به في هذا الأمر ، لأن علمنا هذا مقيد بالقرآن والسنة ... وذكر رجل : المعرفة أمام الجنيد وقال : أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل ، فقال الجنيد، إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٧٨ : ١٧٩ .

(٢) طبقات الصوفية ص ١٢٩ .

الأعمال وهي عندي عظيمة[١] .

٣ ــ ومن كلامه لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله، وهو هنا يحث على جدة السعي طوال العمر، وقد كان حريصاً على ذلك حتى وفاته ، قال أبو محمد الحريري كنت واقفاً على رأس الجنيد في وقت وفاته وكان يوم الجمعة وهو يقرأ القرآن فقلت يا أبا القاسم أرفق بنفسك، فقال يا أبا محمد ما رأيت أحداً أحوج إليه مني في هذا الوقت وهو ذا تطوي صحيفتي[٢] .

٤ ــ ومن كلامه أيضاً : إن بدت ذرة من عين الكرم والجود ألحقت المسئ بالمحسن وبقيت أعمالهم فضلاً لهم، وقد سئل عنها الجنيد متى تبدو ؟ فقال : هي بادية قال الله تعالى : " في الحديث القدسي " : " رحمتي سبقت غضبي"[٣] .

(١) قضية التصوف المنقذ من الضلال ، للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود ، ص ١٣٠ :١٣١ ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة.

(٢) صفوة الصفوة ، تأليف جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، المدقق أحمد علي ج٥٢١/١، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠٠م ، دار الحديث ، القاهرة، مصر.

(٣) حلية الأولياء ج٢٦٣/١٠ .

اللطيفة الخامسة

كرامات الأولياء

قال الإمام البيجوري : اعتقد ثبوت الكرامة للأولياء بمعنى جوازها ووقوعها لهم في الحياة وبعد الموت كما ذهب إليه جمهور أهل السنة، وليس في مذهب من المذاهب الأربعة قول ينفيها بعد الموت، بل ظهورها حينئذ أولى لأن النفس حينئذ صافية من الأكدار ولذا قيل من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق ، وقال الشعراني ذكر لي بعض المشايخ أن الله يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي الحوائج ، وتارة يخرج الولي من قبره ويقضيها بنفسه ، واستدلوا على الجواز بأنه لا يلزم من فرض وقوعها محال، وكل ما كان كذلك فهو جائز ... والأولياء جمع ولي وهو العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الإمكان المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي بمعنى أنه لا يرتكب معصية بدون توبة ، وليس المراد أنه لا تقع منه معصية بالكلية إذ ليس معصوماً، وقولهم لا يكذب الولي أي بلسان حاله بأن يظهر خلاف ما يبطن، المعرض عن الإنهماك في اللذات والشهوات المباحة، وأما أصل التناول فلا مانع منه لا سيما إذا كان بقصد التقوى على العبادة ، وسمي وليا لأن الله تولى أمره فلم يكله إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة ، أو لأنه يتولى عبادة الله على الدوام من غير أن يتخللها عصيان وكلا الأمرين واجب تحققه حتى يكون الولي عندنا ولياً في نفس الأمر[1] .

في هذه اللطيفة التي استفاض فيها الحديث فجاءت واضحة القسمات يمكن مسايرة خطوات الإمام فيها، للتنبيه على الآراء الصوفية فيما ذكره على ما يأتي :

١ ــ إثبات الكرامات لدى الصوفية حيث أجمعوا على إثباتها وإن كانت تدخل في المعجزات (من حيث الكيفية وليس التحدي أو إدعاء النبوة) كالمشي على الماء وكلام البهائم ، وطي الأرض، وظهور الشئ في غير موضعه، وقد جاءت الأخبار بها وصحت الروايات ، ونطق بها التنزيل من قصة الذي عنده علم من الكتاب[2] .

٢ ــ إثبات الكرامات بعد الموت وفي مثل ذلك سئل الخواص ما السبب في كون

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٧٢ .

مريدي سيدي أحمد البدوي ومريدي سيدي إبراهيم الدسوقي وغيرهما من أشياخ الطريق يجيبون مريدهم من قبورهم إذا ناداهم ، ولا نرى أحداً من طلبة العلم يجيبه شيخه وإمام مذهبه من قبره إذا ناداه، فقال السبب في ذلك صحة الاعتقاد والرابطة بين مشايخ الطريق ومريديهم فلما كان المريد يعتقد في شيخه أنه حي في قبره ويسمع نداه أجابه[١] .

٣ ــ إن الولي هو المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي وإن كان ليس معصوماً ، فأفعال الأولياء دائرة بين واجب ومندوب فمثلاً يأكل الولي بقصد التقوى على الطاعات، وينكح بقصد عفة الزوجة والنسل وبالجملة فأفعالهم ليست بشهوات[٢] .

٤ ــ أن كون الولي لا يكذب بلسان حاله بأن يظهر خلاف ما يبطن؛ فلأن باطن الحق ظاهره الشريعة، ومن يحقق في ظاهر الشريعة ينكشف له باطنها ، وباطنه المعرفة بالله، واما الباطل فباطنه أقبح من ظاهره وظاهره أشنع من باطنه[٣] .

فلابد أن يكون الولي صادقاً ظاهراً وباطناً يتولى عبادة الله على الدوام فيتولى الله أمره ويكون وليا في نفس الأمر، وفي ذلك يروي الجيلي فيقول : قد تراءى لي مرة نور عظيم ملأ الأفق ثم بدت لي فيه صورة تناديني يا عبد القادر أنا ربك ، فقلت له أخسأ يا لعين فإذا ذلك النور قد صار ظلاماً ، وتلك الصورة صارت دخاناً ، ثم خاطبني اللعين وقال لي يا عبد القادر نجوت مني بعلمك بأحكام ربك وفقهك في أحوال منازلاتك ، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق ، فقيل للشيخ عبد القادر فمن أين عرفت أنه شيطان، فقال بإحلاله لي ما حرمه الله على لسان رسول الله ﷺ[٤] .

---

(١) الجواهر والدرر ص ٣١٢ : ٣١٣ .

(٢) شرح الصاوي ص ٣٤٤ .

(٣) نصوص الولاية ص ٢٣٧ .

(٤) اليواقيت والجواهر ج١/٢٢٩ .

المبحث الرابع

اللطائف الصوفية في السمعيات وفن التصوف

السمعيات هي المسائل التي لا تتلقى أحكامها إلا من السمع[١] وقد ذكر الإمام بعض اللطائف الصوفية فيها وهي لا تعدو شذرات يسيرة ثم أردفها باستطراد في فن التصوف، ومن رصده لهذا وذاك نتناول اللطائف التالية :

اللطيفة الأولى

حول قبض الروح وحكم الخوض فيها

قال الإمام البيجوري : ومذهب أهل السنة من المتكلمين والمحدثين والفقهاء والصوفية أنها جسم لطيف مشتبك بالبدن كاشتباك الماء بالعود الأخضر ... و- مذهب جماعة من الصوفية والمعتزلة أنها ليست بجسم ولا عرض بل جوهر مجرد متعلق بالبدن للتدبير غير داخل فيه ولا خارج عنه[٢] وقال: كلام الجنيد يدل على الحرمة حيث قال : الروح شئ استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه فلا يجوز للعباد البحث عنها بأكثر من أنها موجودة[٣] .

تشير هذه اللطيفة إلى ثلاث آراء للصوفية حول الروح على ما يأتي:

١ ــ الرأي الأول ويذهب أصحابه إلى أنها جسم لطيف مشتبك بالبدن كاشتباك الماء بالعود الأخضر ، وفي ذلك يقول الغزالي في أحد معنيين للروح عنده : أنها جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن[٤] .

وإليه ذهب السهروردي في مراده بالروح الحيواني حيث قال في بدن الإنسان جسم لطيف بخاري يسمى روحاً حيوانياً بسبب بقائه يبقى وإلا فيموت[٥]فهي عنده جسم وليس بعرض ويدلل عليه وصفها في الأخبار بالهبوط والعروج والتردد في البرذخ، وهذا شأن الأجساد لا الأعراض إذ العرض لا يوصف بهذه

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٥٧ .

(٢) الرجع السابق ص ١٨٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٩٤ .

(٤) إحياء علوم الدين ج٣/٥ .

(٥) كتاب في اعتقاد الحكماء ضمن موسوعة مصنفات السهروردي ص٥٧١ .

الأوصاف[١] .

٢ ــ ذهب جماعة من الصوفية أنها ليست بجسم ولا عرض بل جوهر مجرد متعلق بالبن للتدبير غير داخل فيه ولا خارج عنه فقال كثير من الصوفية: إنها ليست بجسم ولا عرض بل هي جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز، وله تعلق خاص بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل في البدن ولا خارج منه وهذا رأي الفلاسفة[٢] .

٣ ــ ذهب الجنيد ومن تبعه إلى أن الروح شئ استأثر الله بعلمه ولا يجوز الخوض فيه أو البحث عنها بأكثر من أنها موجودة ، وهو ما ذهب إليه الشعراني حيث جعل مبحثه الثالث والستون من اليواقيت في بيان أن الأرواح مخلوقة وإنها من أمر الله تعالى كما ورد، وكل من خاض في معرفة كنهها بعقله فليس هو على يقين من ذلك وإنما هو حدس بالظن[٣].

(١) اليواقيت ج٢/٥٥٠ .

(٢) اليواقيت ج٢/٥٥٠ .

(٣) المرجع السابق ج٢/٥٥١ .

اللطيفة الثانية

حقيقة العقل والخلاف فيها

قال الإمام البيجوري : أعلم أن العقل على خمسة أنواع: الأول غريزي يتهيأ به لدرك العلوم النظرية ... والثاني كسبي وهو ما يكتسبه الإنسان من معاشرة العقلاء والثالث: عطائي وهو ما يعطيه الله للمؤمنين ليهتدوا به إلى الإيمان، والرابع : عقل الزهاد وهو الذي يكون به الزهد ، والخامس: شرفي وهو عقل نبينا ﷺ لأنه أشرف العقول[1].

ذكر الإمام هذه اللطيفة في بداية حديثه عن العقل ، وذكر أن عدم الخوض في بيان حقيقته هو المختار لأنه من المغيبات وكل ما هو كذلك فالأولى الكف عن الخوض فيه، وسمي بذلك لمنعه صاحبه من العدول عن سواء السبيل ومن هنا أخذ الإمام في تقسيم درجات العقل حسب هذا الرشاد، وفي مثل ذلك يقول المحاسبي : العقل نور يفيد الإدراك ، وذلك النور يقل ويكثر ، فإذا قوى منع ملاحقة الهوى ... وبناء على ما سبق تم تصنف أنواع العقل إلى :

الأول : غريزي وهو في كل آدمي مؤمن وكافر .

الثاني : كسبي وهو الذي يكتسبه المرء من معاشرة العقلاء ويحصل للكافر أيضاً

الثالث : عطائي وهو عقل المؤمن الذي اهتدى به للإيمان .

الرابع: عقل الزهاد وذكر الفقهاء لو أومئ (أوصي رجل بماله) لأعقل الناس : صرف للزهاد .

الخامس : شرفي وهو عقل نبينا محمد ﷺ لأنه أشرف العلوم[2] .

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص١٩٧ .

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، محمد بن يوسف الصالحي ت٩٤٢هـ ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، ج٧/ ٤ : ٥، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

اللطيفة الثالثة

المفاضلة بين الاكتساب والتوكل

قال الإمام البيجوري : والراجح التفصيل حسبما عرف من كتب القوم كالإحياء للغزالي والرسالة للقشيري ، وحاصل التفصيل أنهما يختلفان بأختلاف أحوال الناس فمن يصبر على ضيق معيشته بحيث لا يتسخط ولا يتطلع لسؤال احد فالتوكل في حقه أرجح لما فيه من مجاهدة النفس على ترك شهواتها ولذاتها ، والصبر على شدتها ، وإن لم يكن كذلك فالاكتساب أرجح حذراً من التسخط وعدم الصبر بل وربما وجب الاكتساب في حقه(١) .

إن الاختلاف في الأفضلية بين الاكتساب والتوكل مبني على أن التوكل ينافي الكسب وهو مخالف لطريقة الجمهور، وهي أن التوكل لا ينافي الكسب فقد يكون متوكلاً وهو يكسب، لأن حقيقة التوكل على هذه الطريقة الثقة بالله تعالى والاعتماد عليه واعتقاد أن الأمر منه وإليه ولو صح مباشرة الأسباب كما كان يفعله النبي ﷺ(٢) .

وبناء على الرأي الأول فإن الصوفية اختلفوا فذهب قوم إلى أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر ومنهم الجنيد والخواص ، وقال آخرون أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر ومنهم ابن عطاء(٣) .

وفصل الإمام القشيري فقال :إن كل صوفي كان هم الرزق قائماً في قلبه فلزوم العمل أقرب إليه ، وعلامة سكون القلب إلى الله أن يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يديه(٤) .

أما الغزالي فيذكر المسألة بلفظها وعلى وجه أكثر توضيحاً فيقول : فإن قلت فما الأفضل أن يقعد في بيته أو يخرج ويكتسب؟

فاعلم أنه إن كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر وإخلاص واستغراق وقت

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٢٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) إحياء علوم الدين ج٤/٢٨٠ .

(٤) الرسالة القشيرية ج١/١٢٩ ، تأليف عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ) تحقيق الإمام الأكبر عبد الحليم محمود، والدكتور محمود الشريف ، دار المعارف ، القاهرة .

بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل إليه شيئاً بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالقعود له أولى ، وإن كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف إلى الناس فالكسب أولى ، لأن استشراف القلب إلى الناس سؤال بالقلب ، وتركه أهم من ترك الكسب[1] .

(١) إحياء علوم الدين ج٤/٣٧٣ .

اللطيفة الرابعة

حول انتقاض التوبة

قال الإمام البيجوري : عند الصوفية معاودة الذنب بعد التوبة أقبح من سبعين ذنباً[1] .

التوبة هي الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما كان محبوباً فيه[2]، وعند الصوفية على وجه الخصوص يصعب قبول التوبة من الأساس فضلاً عن قبولها بعد معاودة الذنب ، وقد سئل الجنيد عن التوبة فقال : هي نسيان ذنبك ... فمعنى قول الجنيد أن تخرج حلاوة ذلك الفعل من قلبك خروجاً لا يبقى له في سرك أثر حتى تكون بمنزلة من لا يعرف ذلك قط[3] وإنما كان التشديد منهم في صعوبة قبول التوبة إذ أنها مبنية على محبة الله للعبد قال القشيري : ومن قارف الزلة فهو من خطئه على يقين فإذا تاب فإنه من القبول على شك لا سيما إذ كان من شرطه وحقه أن يكون مستحقاً لمحبة الحق ، وإلى أن يبلغ العاصي محلاً يجد في اوصافه أمارة محبة الله إياه مسافة بعيدة ، فالواجب إذن على العبد إذا علم أنه ارتكب ما تجب منه التوبة دوام الانكسار وملازمة التنصل والاستغفار، كما قالوا استشعار الوجل إلى الأجل ... سمعت عبد الله ابن سهل يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها [4] .

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٢٤٠ .

(٢) الرسالة القشيرية ج١/٢٠٧ .

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٩٢ .

(٤) الرسالة القشيريةج١/٢١٤ .

اللطيفة الخامسة

حول وجوب التخلي عن الرذائل

قال الإمام البيجوري: قال الإمام أبو حامد الغزالي وليست النميمة مختصة بذلك بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو نحوها وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأحوال وسواء كان عيباً أو غيره[1].

وقال: فإن قال بلسانه اسكت وهو يشتهي بقلبه استمراره فذلك نفاق كما قال الإمام الغزالي فلابد من كراهته بقلبه[2].

وعن ابن المبارك لو كنت مغتاباً لاغتبت والدي لأنهما احق بحسناتي[3].

تتضمن هذه اللطيفة عدة إشارات حول النميمة والغيبة تتضح فيما يأتي :

١ ــ أن النميمة عند الإمام الغزالي هي : اسم يطلق في الأكثر على ما ينم قول الغير إلى المقول فيه، كما تقول فلان يتكلم فيك بكذا وكذا ، وليس النميمة مختصة بذلك ، بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه ، أو كرهه ثالث ، وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو الرمز أو الإيماء ، وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال ، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المنقول عنه أو لم يكن ، بل حقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر مما يكره وكشفه ، بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره ينبغي أن يسكت عنه إلا ما كان في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية[4].

٢ ــ إن الغيبة عند الإمام الغزالي حدها : أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه ، سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه، حتى في ثوبه وداره ودابته[5] .

والمستمع لها لا يخرج من أثم إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه إن خاف ، وإن قدرعلى القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه ، وإن قال بلسانه وهو

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٢٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥١ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥٢ .

(٤) إحياء علوم الدين ج٣/٢٢١ .

(٥) الرجع السابق ج٣/٢٠٤ .

مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ، ولا يخرجه من الإثم ما لم يكرهه بقلبه[١] .

٣ ــ إن مما يعين على ترك الغيبة شهود أن ضررها عائد عليه فقد ورد أنه تؤخذ من حسنات المغتاب لمن اغتابه وتطرح عليه سيئاته ، وقد جاء عن ابن المبارك حين ذكرت عنده الغيبة فقال : لو كنت مغتاباً لاغتبت والدي لأنهما أحق بحسناتي[٢].

(١) إحياء علوم الدين ج٣/٢٠٧ .

(٢) الرسالة القشيرية ج١/٢٩٢ .

اللطيفة السادسة

حول تعريف التصوف وسبب تسميته بهذا الاسم

قال الإمام البيجوري : وعرفوه بأنه علم بأصول يعرف بها إصلاح القلب وسائر الحواس وفائدته إصلاح أحوال الإنسان لما فيه من الحث على تصفية الاعتقاد وكمال الأعمال بالسداد، وقال الغزالي : هو تجريد القلب لله تعالى واحتقار ما سواه أي تخليص القلب لله تعالى واعتقاد أن ما سواه لا ينفع ولا يضر ، فلا يعول إلا على الله ، والحق أن التصوف ثمرة جميع العلوم الشرعية وليس قواعد موضوعة مدونة ٠

وسمي التصوف لغلبة لبس الصوف على اهله كالمرقعات وحكمتها كما قال الشيخ الشعراني أنهم لا يجدون ثوباً كاملاً من الحلال بل قطعاً قطعاً ، وقيل لتشبههم بأهل الصفة، وقيل للصفاء ، وقال سهل بن عبد الله : الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من العبر وانقطع إلى الله عن البشر وتساوى عنده الذهب والمدر ، وينسب لسيدي عبد الغني النابلسي:

يا واصفي أنت في التحقيق موصوفي ... وعارفي لا تغالط أنت معروفي

إن الفتى من بعهده في الأزل يوفي ... صافي فصوفي لهذا اسمي الصوفي

وما أحسن ما أنشده ابن الحاج في كتابه المدخل :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ... ولا بكاؤك إن غنى المغنونا

ولا صيام ولا رقص ولا طرب ... ولا اختباط كأن قد صرت مجنونا

بل التصوف أن تصفو بلا كدر ... وتتبع الحق والقرآن والدنيا

وأن ترى خاشعاً لله مكتئبا ... على ذنوبك طول الدهر محزونا[1]

سيراً مع هذه اللطيفة نتناول الخطوات التالية :

١ ــ تعريف التصوف : ذكر الإمام البيجوري تعريفاً بأنه : علم بأصول يعرف بها إصلاح القلب وسائر الحواس ثم قال : والحق أن التصوف ثمرة جميع العلوم الشرعية وليس قواعد مخصوصة مدونة وذكر تعريف الغزالي للتصوف بأنه تجريد القلب لله تعالى واحتقار ما سواه٠

ولا تعارض في كل ما سبق إذ التعريف الأول للتصوف تعريف باعتباره علماً مدوناً أما تعريف الإمام وتعريفه عند الإمام الغزالي فهو تعريف بالنظر إلى

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٢٥٧ : ٢٥٨ ٠

الجانب العملي منه ويقول الشيخ العدوي في ذلك : وحد التصوف علماً: هو علم بأصول يعرف بها صلاح القلب وسائر الحواس، وعملاً : هو الأخذ بالأحوط من المأمورات واجتناب المنهيات والاقتصار على الضروريات من المباحات، ويقال هو الجد في السلوك إلى ملك الملوك، ويقال هو حفظ الحواس ومراعاة الأنفاس والمعنى متقارب ، وغايته صلاح القلب وسائر الحواس في الدنيا والفوز بأعلى المراتب في العقبي[١] .

٢ ــ أن أسباب تسمية التصوف بهذا الاسم كثيرة وقد ذكر الإمام بعضها ومنها أيضاً أن أهله (الصوفية) في الصف الأول بقلوبهم ، وقيل من سوفيا اليونانية وانتقد القشيري كل هذا وذاك بل لا يرى الاشتقاق أصلاً، ويقول هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال : رجل صوفي وللجماعة صوفية ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة[٢] .

ولقد استأنس الإمام بقول الشيخ عبد الغني النابلسي (ت١١٤٣هـ) هذا المتصوف الدمشقي[٣] الذي اختار رأي سهل بن عبد الله في أن الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من العبر وانقطع إلى الله عن البشر .

كما استأنس أيضاً بقول ابن الحاج في كتابه المدخل: ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ... لخ ، في إشارة يلوح من خلالها أن الإمام يرى أن التصوف هو الصفو واتباع القرآن والدين وليس مجرد لبس الخشن من الثياب .

ومن الجدير بالذكر أن كتاب المدخل لابن الحاج أبو عبد الله الفارسي : (فقيه نزل مصر وتوفى بها) كتاب فيه فوائد كثيرة في كشف معايب وبدع يعملها الناس وأكثرها مما ينكر[٤] وقد جاء في هذا الكتاب أن هذه الأبيات الشعرية منقولة عن ابن العربي (الفقيه) وقد نسبها الأخير إلى مجهول[٥] .

---

(١) شرح الخريدة البهية ص ١٧٣ .

(٢) الرسالة القشيرية ج٢/٤٤٠ .

(٣) الأعلام ج٢/٢٦ .

(٤) الأعلام ج٧/٣٥ .

(٥) المدخل لأبي عبد الله محمد بن محمد العبدري المالكي الشهير بابن الجاج (ت ٧٣٧هـ) ج٢/٢٣ ، دار التراث .

هذا وبعد التتبع اتضح أن تلك الأبيات الشعرية هي لأبي عبد الله بن الحسن بن الطوبي (صاحب ديوان الإنشاء) وكان من أشد الشعراء في صقلية نقداً لبعض المظاهر الكاذبة في مجتمعه ، وقد انتقد التصوف بهذه الصورة التي كانت شائعة في صقلية آنذاك بهذه الأبيات، ووضح رأيه في ذلك المذهب بقوله بل التصوف أن تصفو ... الخ[1] .

(١) العرب في صقلية ، دراسة في التاريخ والأدب ، المؤلف إحسان عباس ص١٩٦ ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٥م.

اللطيفة السابعة

حول التحلي بالفضائل

قال الإمام البيجوري : وإذا كانت المجاهدة على يد شيخ من العارفين كانت انفع لقولهم : حال رجل في ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل ، فينبغي للشخص أن يلزم شيخاً عارفاً على الكتاب والسنة بأن يلزمه قبل الأخذ عنه فإن وجده على الكتاب والسنة لازمه وتأدب معه فعساه يكتسب من حاله ما يكون به صفاء باطنه والله يتولى هداه[1] .

يبين الإمام أن الطالب للمعارف والمجاهدات الصوفية ينبغي أن تكون مجاهداته على يد شيخ عارف فتكون انفع والعارف هو الذي بذل مجهوده فيما لله وتحقق معرفته بما من الله، وصح رجوعه من الأشياء إلى الله[2].

والطالب للشيخ العارف هو من يسمى في التصوف باسم المريد وهو الذي سبق اجتهاده كشوفه فيقبل بقلبه ويحدث فيه لطفاً يثير منه به الاجتهاد والإقبال عليه والإرادة له ثم يكاشفه الأحوال[3] .

وملازمة المريد للشيخ ليدله على هذه المجاهدات ينبغي أن تكون بداية الطريق كما نبه عليها الإمام الالتزام بالكتاب والسنة، فأول ما يلزم العبد الاجتهاد في طلب العقول الصوفية هو الفقه وأحكامه على قدر ما أمكنه ووسعه طبعه وقوى عليه فهمه بعد إحكام علم التوحيد عن طريق الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، فإن علمه فهو في سعة إن شاء الله عز وجل واشتغل باستعمال علمه وعمل به .

فأول ما يلزمه علم آفات النفس ومعرفتها ورياضتها وتهذيب أخلاقها ... فإذا استقامت فعند ذلك يمكن للعبد مراقبة الخواطر وتطهير السرائر وهذا هو علم المعرفة ، ثم وراء هذا علوم الخواطر والمشاهدات والمكاشفات وهي التي تختص بعلم الإشارة وهو العلم الذي تفردت به الصوفية[4] .

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٢٥٩ .

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٤٠ .

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٣٨ .

(٤) المرجع السابق ص ٨٧ .

اللطيفة الثامنة

العمل ورجاء الإخلاص

قال الإمام البيجوري : الرجاء بالمد هو تعلق القلب بمرغوب فيه مع الأخذ في الأسباب وإلا فهو طمع مذموم ... قال عبد الله بن المبارك :

ما بال دينك ترضى أن تدنسه ... وثوبك الدهر مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها ... إن السفينة لا تجري على اليبس[1]

وقال : قال الفضيل بن عياض : العمل لأجل الناس شرك، وترك العمل لأجل الناس هو الرياء ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما[2] .

تشير هذه اللطيفة إلى خاتمة المنظومة وخاتمة الكتاب فهي شرح لقول الناظم (هذا وأرجو الله في الإخلاص) وقد علق الشارح عليها بما يمكن تحليله فيما يأتي :

١ ـ الرجاء والأخذ في الأسباب :

الرجاء هو تعلق القلب بمرغوب يحصل في المستقبل مع الأخذ في الأسباب فإن لم يأخذ فطمع وهو مذموم شرعاً[3] .

فالسعي في أسباب التحصيل شرط أساسي ولذلك أشار الإمام يقول عبد الله بن المبارك ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها ... الخ ، فلا يجوز انتظار الجزاء بغير عمل و تمني الشئ مع التفريط في الأخذ بالأسباب، وإنما ينبغي تعلق القلب بالله تعالى مع مخالفة النفس في شهواتها وإيثار له تعالى على غيره وهذا هو الطريق المستقيم الموصل إلى الله تعالى[4] .

٢ ـ الإخلاص والبعد عن الرياء :

الإخلاص هو إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون شئ آخر من تصنع لمخلوق أو معنى من المعاني ويصح أن يقال الإخلاص التوقي من ملاحظة الأشخاص[5] وذلك سواء كان في العمل أو تركه

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٢٦١ .

(٢) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٢٦٣ .

(٣) شرح الخريدة البهية ص ١٨٣ .

(٤) شرح الخريدة البهية ص ١٨٣ .

(٥) الرسالة القشيرية ج٢/٣٥٩ .

ولذا قال الفضيل بن عياض ، ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما[١] .

والتعمق في هذه المقولة الجامعة يتوجه بنا إلى درجات العمل الخالص والمشوب وحكمه:

فالأول : الذي لم يرد فيه إلا الرياء فهو سبب المقت والعقاب قطعاً .

والثاني : الخالص لوجهه تعالى فهو سبب الثواب .

والثالث : المشوب الذي كان الباعث الديني فيه مساوياً للباعث النفسي تقاوماً وتساقطاً وصار العمل لا له ولا عليه .

الرابع : المشوب الذي كان باعث الرياء فيه أقوى، فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مفضي للعقاب ، نعم العقاب فيه أخف من عقاب الذي تجرد للرياء ولم يمتزج له شائبة التقرب .

الخامس : إذا كان قصد التقرب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني[٢].

وإذا ترتب الأمر على الباعث فلابد للعود إلى قول الجنيد: الإخلاص سر بين الله وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيضله[٣] .

وهكذا سار الإمام في تناغم عجيب ، فمن حيث بدأ بالإخلاص ختم وإذا قد أتت النهاية على البداية فقد أتى الأمر على التمام، فمن حيث بدأ ختم، ومن حيث بدأنا نختم بقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٤].

---

(١) الرسالة القشيرية ج٢/٣٦١ .

(٢) إحياء علوم الدين ج٥/٣٣ .

(٣) الرسالة القشيرية ج٢/٣٦١ .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ١٦٢

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والصلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ٠

أما بعد ٠٠٠

فقد أوضحت دراستنا لموضوع (لطائف الصوفية في التحفة البيجورية) النتائج التالية :

١ ــ قدرة وتمكين علماء الإسلام على الخوض في غمار العلوم المختلفة لمعالجة القضايا الوجودية والإلهية ٠

٢ ــ اعتمد الصوفية قول الغزالي : (ليس في الإمكان أبدع مما كان) كمقدمة تدل على جمال وإحكام ما كان للارتقاء من كمال الصنعة إلى كمال الصانع ٠

٣ ــ الإيمان عند الصوفية يختلف حسب درجات التصديق ومن اتصف بها إلى التقليد للعوام ، والعلم لأصحاب الأدلة، والعيان لأهل المراقبة ، والحق للعارفين ، والحقيقة للواقفين ، وحقيقة الحقيقة للأنبياء والمرسلين ٠

٤ ــ أجمع الصوفية على أن الله تعالى خالق لأفعال العباد، كما أجمعوا على أن لهم أفعالاً واكتساباً على الحقيقة، وهم بها مثابون وعليها معاقبون ، فالعبد مجبور باطناً مختار ظاهراً ٠

٥ ــ أن وحدة الوجود تختلف تماماً عن وحدة الشهود عند أصحاب المنهج القلبي العرفاني الصحيح ، ففي الأخيرة العبد عبد والرب رب لا امتزاج ولا حلول ولا اتحاد ٠

٦ ــ أن الولاية الخاصة عند الصوفية منحة وليست اكتساب وذلك مثل العطايا الربانية والعلم اللدني ٠

٧ ــ اختلفت آراء الصوفية حول الروح فمن قائل بعدم الخوض فيها إلى مشارك للفلاسفة في القول بأنها جوهر متعلق بالبدن للتدبير إلى ثالث موافق لأهل السنة في أنها جسم مشتبك بالبدن كاشتباك الماء بالعود الأخضر ٠

٨ ــ أن قضية التفضيل بين الاكتساب والتوكل اختص بها الصوفية إذ لا تعارض بينهما عند الجمهور ٠

٩ ــ إن الجانب العلمي للتصوف يقصد به تلك الأصول التي بها إصلاح القلب وسائر

الحواس، أما العملي منه فيقصد به الأخذ بالأحوط من المأمورات واجتناب المنهيات ، أو الجد في السلوك إلى ملك الملوك.

١٠ ــ أن الصوفي ولابد ملتزم بالكتاب والسنة والتكاليف الشرعية مهما بلغت درجته .

١١ ــ أن الرجاء وهو تعلق القلب بمرغوب يحصل في المستقبل لابد فيه من الأخذ بالأسباب ، وقيل كل شئ الإخلاص فيه بإفراد الحق سبحانه وتعالى في الطاعة بالقصد .

وأخيراً أسأل الله العظيم أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المراجع

القرآن الكريم ـ جل من أنزله ـ

١. **إحياء علوم الدين** : تصنيف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ت٥٠٥هـ وبهامشه تخريج الحافظ العراقي ، تحقيق الشحات الطحان ، عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان ، الطبعة الأولى ٠

٢. **الأعلام** : تأليف خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ت ١٣٩٦هـ ، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م ، دار العلم للملايين٠

٣. **الأعمال الكاملة للحلاج** : تحقيق قاسم عباس ، مكتبة الإسكندرية ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م ٠

٤. **بستان العارفين** : تأليف أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي ت٦٧٦هـ دار الريان للتراث ٠

٥. **تشييد الأركان في ليس في الإمكان أبدع مما كان** : تأليف الشيخ جلال الدين السيوطي ، أشرف على التحقيق والتصحيح هيئة التحقيق بدار الوعي العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ، دار الكتاب الإسلامي، حلب٠

٦. **التعرف لمذهب أهل التصوف** : تأليف أبي بكر محمد بن إسحاق بن إبراهيم الكلاباذي البخاري الحنفي ت٣٨٠هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٠

٧. **الجواهر والدرر الكبرى** : تصنيف العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعراني الأنصاري ت ٩٧٣هـ تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي ، طبعة ١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م، بيروت، لبنان ٠

٨. **حاشية ابن الأمير** : محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر السنباوي ت ١٢٣٢هـ على اتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد ، للشيخ عبد السلام إبراهيم بن إبراهيم اللقاني المصري المالكي (ت ١٠٧٨هـ) تحقيق أحمد مزيد المزيدي ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٠

٩. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** : أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصفهاني ت ٤٣٠هـ طبعة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ، مكتبة السعادة، مصر ٠

١٠. **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر** : تأليف عبد الرازق بن حسن بن

إبراهيم البيطار ت ١٣٣٥هـ ، تحقيق محمد البيطار ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، دار صادر ، بيروت ، لبنان ٠

١١. **الرسالة القشيرية** : تأليف عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ت ٤٦٥هـ ، تحقيق الإمام الأكبر عبد الحليم محمود ، الدكتور محمود الشريف دار المعارف، القاهرة ٠

١٢. **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**: للإمام المحدث عبدالرحمن السهيلي ت ٥٨١هـ ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، طبعة ١٤١٠هـ ـ ١١٩٩٠م ، دار ابن تيمية، القاهرة ٠

١٣. **السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد**: تأليف أبي بكر بن أحمد بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ت٤٦٣هـ تحقيق محمد بن مطر الزهراني ، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م ، دار الصميعي، الرياض ٠

١٤. **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد** : تأليف محمد بن يوسف الصالحي ت ٩٢٢هـ ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٠

١٥. **شرح البيجوري على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد**: تأليف الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام إبراهيم البيجوري ، طبعة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م ، الهيئة المصرية العامة لشئون المطابع الأميرية ٠

١٦. **شرح الخريدة البهية في علم التوحيد** : تأليف أحمد بن محمد العدوي الشهير بالدردير ، تحقيق عبد السلام عبد الهادي شنار ، دار البيروني ٠

١٧. **شرح الصاوي على جوهرة التوحيد** : للإمام الفقيه ، أحمد بن محمد المالكي الصاوي ت ١٢٤١هـ تحقيق وتعليق عبد الرحمن البزم ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م ، دار ابن كثير ، بيروت ٠

١٨. **شرح العقيدة الكبرى المسماة عقيدة أهل لتوحيد**: للإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي التلمساني ت ٨٩٥هـ ، تحقيق السيد يوسف أحمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ـ

٢٠٠٦م ٠

١٩. **شرح العلامة مصطفى العروسي المسمى نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية** : لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ت٩٢٦هـ ضبطه وخرج أحاديثه الشيخ عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م٠

٢٠. **صحيح البخاري** : للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، طبعة موافقة لترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م ٠

٢١. **صفوة الصفوة** : تأليف جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن علي بن الجوزي ت ٥٩٧هـ ، المدقق ، أحمد علي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م ، دار الحديث، القاهرة ، مصر ٠

٢٢. **طبقات الصوفية** : تأليف محمد بن الحسين بن محمد بن خالد بن سالم النيسابوري أبو عبد الرحمن السلمي ت٤١٢هـ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ، دار الكتب العلمية ، بيروت٠

٢٣. **الطبقات الكبرى ، لواقح الأنوار في طبقات الأخيار**: تأليف عبد الوهاب بن أحمد ابن علي الشعراني ت١٩٧٣م، طبعة ١٣١٥هـ ـ مكتبة المليجي ، مصر٠

٢٤. **العرب في صقلية دراسة في التاريخ والأدب** : المؤلف د/إحسان عباس ت ١٤٢٤هـ ، دار الثقافة ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٧٥م ٠

٢٥. **الفتح في تأويل ما صدر عن الكمل من الشطح** : تأليف عبد الوهاب الشعراني ت ٩٧٣هـ ، ملحق بالمجموعة الصوفية الكاملة لأبي يزيد البسطامي ، تحقيق قاسم محمد عباس ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م٠

٢٦. **الفتوحات المكية** : تأليف الشيخ أبي بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي المعروف بابن عربي ت ٦٣٨هـ ضبطه وصححه ووضع فهارسه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان٠

٢٧. **قضية التصوف المنقذ من الضلال** : للإمام الأكبر عبد الحليم محمود ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف، القاهرة٠

٢٨. **كتاب الأربعين في أصول الدين** : للإمام حجة الإسلام أبي حامد بن محمد بن

محمد الغزالي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ٠

٢٩. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** : تأليف مصطفى عبد الله القسطنطيني المشهور بحاجي خليفة ت١٠٦٧هـ، طبعة ١٩٤١م ، مكتبة المثنى ، بغداد ٠

٣٠. **لطائف الإشارات تفسير القشيري** : لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري المتوفى ٤٦٥هـ ، تحقيق إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

٣١. **المجموعة الصوفية الكاملة** : لأبي يزيد البسطامي ت٢٦١هـ ، تحقيق وتقديم قاسم محمد عباس ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م ، دار المدى للثقافة والنشر٠

٣٢. **المدخل** : لأبي عبد الله محمد بن محمد العبدري المالكي، الشهير بابن الحاج ت ٧٣٧هـ ، دار التراث ٠

٣٣. **مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة**: تأليف أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي ت ٧٦٨هـ تحقيق محمود محمد محمود حسن نصار ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ٠

٣٤. **المستدرك على الصحيحين** : لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد ابن حمدويه بن الحكم النيسابوري ت٤٠٥هـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، طبعة ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان٠

٣٥. **مشكاة الأنوار** : تأليف أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ت٥٠٥هـ تحقيق أبي العلا عفيفي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ٠

٣٦. **معراج التشوق إلى حقائق التصوف** : للشيخ عبد الله أحمد ابن عجيبة ت ١٢٢٤هـ ، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي ، مركز التراث الثقافي المغربي ، الدار البيضاء٠

٣٧. **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في العلوم** : تأليف أحمد ابن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، دار الكتب العلمية ، بيروت٠

٣٨. **مقدمة ابن خلدون** : تأليف العلامة عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ، تحقيق د/ علي عبد الواحد وافي ، طبعة ٢٠٠٦م، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع٠

٣٩. **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى** : لأبي حامد محمد ابن محمد الغزالي ت ٥٠٥هـ ، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ٠

٤٠. **المنح المكية في شرح الهمزية** : للإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي ت٩٧٤هـ، عنى بتحقيقه أحمد جاسم الحمد ، بوجمعة مكري ، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م ، دار المنهاج ، بيروت، لبنان٠

٤١. **المنقذ من الضلال** : لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ت٥٠٥هـ تحقيق جميل صليبا ، كامل عياد ، الطبعة الخامسة ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م ٠

٤٢. **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم** : تأليف محمد ابن القاضي محمد حامد بن محمد الفاروقي الحنفي التهاوني المتوفي بعد ١١٥٨هـ ، تقديم وفيق العجم ، على دحروج، الطبعة الأولى ١٩٩٦م ، مكتبة لبنان ٠

٤٣. **موسوعة مصنفات السهروردي** : حققه واعتنى به محسن عقيل ، دار روافد للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ٠

٤٤. **موقف ابن حجر الهيتمي من التصوف الإسلامي** : بحث من إعداد رائد عبدالجواد ، ضمن بحوث حولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا ، العدد ٣٨، ديسمبر ٢٠٢٣م٠

٤٥. **نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز** : تأليف رفاعة رافع الطهطاوي ت١٢٩٠هـ ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ، دار الذخائر ، القاهرة ٠

٤٦. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** : تأليف إسماعيل بن محمد أمين مير سليم البغدادي ١٣٩٩هـ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة ، استنابول ١٩٥١م٠

٤٧. **الواردات الإلهية المسمى بالوصايا** : تأليف علي وفا، تحقيق وتعليق الفقير محمد إبراهيم محمد سالم، طبعة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م ٠

٤٨. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** : تأليف أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي ت ٦٨١هـ تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ٠

٤٩. **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر** : تأليف الشيخ عبد الوهاب ابن أحمد بن علي الشعراني المصري الحنفي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان ٠

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٥٤٣
التمهيد: العلاقة بين علم الكلام وعلم التصوف	٥٤٥
المبحث الأول : اللطائف الصوفية في الأمور المقدمة في علم التوحيد	٥٤٨
اللطيفة الأولى : العمل ودرجات الإخلاص	٥٤٨
اللطيفة الثانية : حول نجاة أبوي النبي ﷺ	٥٥٠
اللطيفة الثالثة : ليس في الإمكان أبدع مما كان	٥٥٣
اللطيفة الرابعة : أقسام الإيمان	٥٥٧
اللطيفة الخامسة : حول زيادة إيمان الأنبياء	٥٥٩
المبحث الثاني : اللطائف الصوفية في الإلهيات	٥٦١
اللطيفة الأولى : الوجود الذاتي وغير الذاتي	٥٦١
اللطيفة الثانية : حول الصفات الإلهية	٥٦٥
اللطيفة الثالثة : حول أسماء الله العظيمة	٥٦٧
اللطيفة الرابعة : حول النصوص الموهمة للتشبيه	٥٧٠
اللطيفة الخامسة: وحدة الأفعال	٥٧٢
اللطيفة السادسة : حول التوفيق والخذلان	٥٧٣
اللطيفة السابعة : الجبر والاختيار	٥٧٥
اللطيفة الثامنة : حول رؤية الله تعالى	٥٧٦
المبحث الثالث : اللطائف الصوفية في النبوات	٥٧٩
اللطيفة الأولى : حول عصمة الأنبياء عليهم السلام	٥٧٩
اللطيفة الثانية : حكم الولاية	٥٨١
اللطيفة الثالثة : حول براءة السيدة عائشة رضي الله عنها	٥٨٢
اللطيفة الرابعة : حول الأئمة هداة الأمة	٥٨٤

الموضوع	رقم الصفحة
اللطيفة الخامسة : كرامات الأولياء	٥٨٦
المبحث الرابع : **الصوفية في السمعيات وفن التصوف**	٥٨٨
اللطيفة الأولى : حول قبض الروح وحكم الخوض فيها	٥٨٨
اللطيفة الثانية : حقيقة العقل والخلاف فيها	٥٩٠
اللطيفة الثالثة : المفاضلة بين الاكتساب والتوكل	٥٩١
اللطيفة الرابعة : حول انتقاض التوبة	٥٩٣
اللطيفة الخامسة : وجوب التخلي عن الرذائل	٥٩٤
اللطيفة السادسة : حول تعريف التصوف وسبب تسميته بهذا الاسم	٥٩٦
اللطيفة السابعة : حول التحلي بالفضائل	٥٩٩
اللطيفة الثامنة : العمل ورجاء الإخلاص	٦٠٠
الخاتمة	٦٠٢
فهرس المراجع	٦٠٤
فهرس الموضوعات	٦٠٩